

روايات مصرية الجيب

بعد الانتظار

الجزء الثاني

زهور

91



المؤسسة العربية الحديثة

طبعة الأولى: ١٩٨٠

طبعة الثانية: ١٩٨٠

طبعة الثالثة: ١٩٨٠

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذي يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بماتين
مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التي تذيب أحجار القلوب .. وتثبت
الزهور اليافعة في صخور المشاعر الصلدة ..
إنها الزهور التي ينشدها كل منا في لحظات اليأس .. وفي
لحظات الغضب .. وفي لحظات الكراهية .. وفي لحظات
الجفاف .. فتشيع عبرها الفواح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والامل إلى حنايانا .
إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامي ، وبابتعاده عن
الآثانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شيء خلقه الله في هذا
الوجود !!

وفي هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والآثانية
الفردية ، نحن نحتاج الان لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج لزهو نستنشق عبرها ، فتحرك
مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..
وفي كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة
إلى زهرة .. في بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الاحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١- مشاعر أب ..

لرسمت لبسمة كبيرة على وجهها وهي تتلذذ قفلة :

- (مصطفى) .. (مصطفى) ..

للتفت إليها وقد لبسم بدوره وهو يمد لها يده مصافحاً :

- أهلاً (ميرفت) .. إننى سعيد لرؤيتك ..

قالت له معاتبة :

- لا أظن ذلك .. لو كان هذا حقيقياً لجئت لزيارتنا ..

ولما كنت قد انتظرت حتى ألتقى بك مصادفة ..

قال لها وهو محتفظ بابتسامته :

- لكنى كنت سأتى لزيارتكم بالفعل .. خاصة أن الحاجة

والدتك قد أوحشتنى ..

- لو كان ما نقوله صحيحًا .. لكنت قد فعلت ذلك في زيارتك السابقة، بدلاً من أن نعظم بحضورك إلى البلدة .. وسفرك دون أن نراك .. ولو لبضع ساعات ..

- معك حق .. لكنى لم أقض في البلدة سوى يوم واحد فقط .. ثم عدت إلى الإسكندرية ..

- يوم أو أسبوع هذا لا يمنع أن نراك .. فالمسافة بين منزلنا ومنزلكم لا تتجاوز عشر دقائق فقط سيرًا على الأقدام ..

لماذا تباعدت هكذا يا (مصطفى) لقد عشنا طفولتنا معًا وبيننا عشرة وصدافة .. هل نسيت ؟ أم هات عليك العشرة والصدافة ؟

قال وقد أفلتت الكلمات منه :

- المشكلة .. أننى لم أتمكن من النسيان ..

نظرت إليه بتساؤل قائلة :

- ماذا تعنى بذلك ؟

(*) صدر الجزء الأول من الرواية بعنوان « سلتظرك دفاً » لعدد (٩٠)

***** ٦ *****

قال محاولاً تدارك كلماته :

- لا شيء .. كل ما هنالك أن ظروفى فى العمل قد اختلفت عن ذى قبل .. كما أنه لم يعد لى فى البلدة أحد بعد وفاة عمى .. لذا فقد أصبحت أفضل قضاء إجازاتى فى الإسكندرية .. فأنا تأقلمت على الحياة هناك ..

ولم يحاول أن يخبرها بما يخفيه فى نفسه .. وعجزه عن التغلب على حبه لها .. برغم إدراكه أنها ليست من نصيبه .. ولن تكون كذلك فى يوم من الأيام ، فقد استولى (عماد) على قلبها منذ الصبا ..

وبرغم أنه بارك حبهما .. إلا أنه لم يتمكن من مقاومة مشاعره تجاه (ميرفت) التى لم تقنع بالصدافة وظلت تتعذب بحبه لها .. فأثر الابتعاد بقدر الإمكان لى لا يزيد من عذابه ، وعلى أمل أن يساعده البعد على النسيان .. سألته قائلة :

- ألم يرسل لك (عماد) خطاباً فى الفترة الأخيرة ؟

***** ٧ *****

- فى الحقيقة .. آخر خطاب تسلمته منه كان منذ أربعة أشهر تقريباً .. ولم يصلنى بعدها أى خطاب آخر .. برغم أننى أرسلت إليه خطابين على الصندوق البريدى الذى حددته لى .. لكن لم يصلنى منه أى رد ..

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً وهو ينظر إلى عينيها :

- وأنت ؟ ألم يصلك منه أى خطابات فى الفترة الأخيرة ؟

- لقد تسلمت خطاباً منه منذ أسبوع ..

- حسن .. وما هى أخباره ؟

- إنه يواظب على الدراسة والعمل برغم بعض الصعوبات التى أشار إليها فى حياته هناك ..

- بالطبع الحياة فى أمريكا ليست سهلة .. لكنى أعرف (عماد) جيداً كما تعرفينه مثلى .. إنه قوى الإرادة

***** ٨ *****

والذكاء .. وإذا ما صمم على تحقيق شىء .. فلا بد له أن يناله ، لذا فأنا واثق أنه سيحقق ما يريد .. وسيتغلب على أية صعوبات يواجهها .. مهما كانت ضراوتها ..

المهم .. ألم يخطر ببالك بما إذا كان سيأتى إلى مصر فى إجازة قريباً ؟

- كلا .. لم يذكر شيئاً عن ذلك ..

- وماذا عن عقد القران ؟

- سيتم بعد حصوله على الدكتوراه واستلامه لوظيفة

مناسبة فى أمريكا تتلاءم مع مؤهلاته ..

- لكن ذلك قد يستغرق وقتاً طويلاً ..

- لقد كان (عماد) واضحاً بهذا الشأن منذ البداية ..

لازواج قبل الحصول على الدكتوراه ..

***** ٩ *****

قال وقد انتابه إحساس بالقلق تجاهها :

- بلى كان الواضح لى وللجميع أنه فى سبيله للاقتران
بك بعد فترة قصيرة من الخطبة .. وقبل أن يفاجئ
الجميع بسفره إلى (أمريكا) ..

تنهدت (ميرفت) قائلة :

- لقد فات أوان هذا الكلام ..

- (ميرفت) .. أنت تعرفين مدى أهميتك بالنسبة لى ..
برغم صداقتى لـ (عماد) .. فأننا أطلبك بأن تكونى أكثر
حزماً معه بهذا الشأن ..

فأنت تعيشين هنا .. فى هذه البلدة الريفية الصغيرة ..
وليس فى القاهرة أو الإسكندرية .. والأقارب هنا
كثيرة .. وكلام الناس لا يرحم .. ثم إننى لا أرى ما يمنع
من حضوره ليعقد قرانه عليك .. ثم يسافر ليدبر
أمركما معاً بعدها ..

- إننى لا أريد أن أضغط عليه أكثر مما يجب ..
وعلى أية حال إن ما بيننا أكبر وأقوى من أى ارتباط
موثق .. وبالنسبة لى فإتنى أعد نفسى زوجة له
مهما امتد بى الزمن ..

نظر إليها بأسى قائلاً :

- أحبيبته إلى هذا الحد ؟

تطلعت إليه قائلة :

- لا بد أنك تعرف ذلك أكثر من غيرك .. فقد عشت
معنا الطفولة والصبا لتكون شاهداً على هذا الحب ..
نعم .. لكنى أريد منك أن تعدى نفسك لكل الاحتمالات ..
بدلاً من أن تلزمنى نفسك ...

قالت له مقاطعة وهى تشير بيدها لتحول بينه
وبين الاستمرار فى الكلام :

- لا يا مصطفى .. لا تكمل .. أنت تعرف أننى
لا أستطيع أن أتصور سوى احتمال واحد ، وهو أن
أقضى بقية حياتى مع (عماد) ..

- وماذا لو لم يكن وفياً لعهدك مثلك ؟ أتضيعين شبابك
وتسجنين نفسك وراء قضبان الوفاء لهذا الحب ؟

إننى لا أحاول أن أقلل من شأن حب (عماد) لك
أو أثير قلقك بشأنه ؛ لكن يجب أن تطالبه بأن يكون
أكثر وضوحاً فى التزامه معك ..

- إننى أقدر نصيحتك .. وسوف أعمل بها ..

- وأنا أتمنى أن تحصلى على السعادة التى ترجيها ..

- وهذا ما أتمناه لك أيضاً يا (مصطفى) .. لم تعر على
الفتاة المناسبة بعد ؟ أم أنك ما زلت مضرباً عن الزواج ؟

اكتسبت ابتسامته بمسحة من الحزن وهو ينظر
إليها قائلاً :

- عندما أعر عليها ستكونين أول من تعرفين بذلك ..

ومد لها يده مصافحاً وهو يقول :

- والآن اسمح لى .. لا بد أن أعد نفسى للسفر ..

صافحته قائلة :

- لا تتأخر علينا كثيراً يا (مصطفى) ..

وفى مركز الأبحاث الفضائية بولاية (فيرجينيا)
الأمريكية ، جلس الدكتور (نافع) يراجع نتيجة فحص
بعض العينات التى أحضرها رواد الفضاء الأمريكيين
على شاشة الكمبيوتر الموضوع أمامه ..

بينما كان (عماد) قد انتهى بدوره من الفحص
الجيولوجى لبعض العينات الفضائية الأخرى ..

وقد استغرق منه هذا الفحص جهداً غير عادى ..
حيث قام بتدوين ملاحظته بشأن هذه العينات على
الأوراق .. وتقدم بها إلى الدكتور (نافع) .. قائلاً :

- لقد انتهيت من فحص عينات المجموعة (ج) ..

وقمت بتدوين الملاحظات المطلوبة بشأنها ..

نظر إليه الدكتور (نافع) برهة .. ثم عاد لينظر إلى
شاشة الكمبيوتر أمامه وقد أطلت من عينيه نظرة
شاردة ، تدل على أنه لا يتابع البيانات المسجلة أمامه
على الشاشة بالدقة ، وبالقدر الكافى من التركيز ..

لاحظ (عماد) ذلك وقد عاد ليلح عليه قائلاً :

- يا دكتور (نافع) العينات ..

أطلق الدكتور (نافع) زفرة قصيرة قائلاً :

- ألم تنته من فحصها وتكوين ملاحظتك بشأنها ؟

- بلى ..

- إذن تولّ أمر تسجيل هذه البيانات على جهاز

الكمبيوتر الآخر ..

قال له (عماد) باستغراب :

- دون أن تفحصها ؟

أغلق الدكتور (عماد) جهاز الكمبيوتر وهو يتراجع
في مقعده وقد أطلق زفرة طويلة هذه المرة قائلاً :

- اعذرني يا (عماد) .. إنني غير قادر على

التركيز الآن .. حتى إنني لا أستطيع استيعاب البيانات

المسجلة أمامي بشأن العينات السابقة ..

***** ١٤ *****

قال (عماد) وهو ينظر إلى أستاذه بقلق :

- هذا ما لا حظته .. ما الذي يقلقك يا دكتور ؟

دقّ الدكتور (نافع) بأنامله على المائدة الموضوعية

أمامه وهو ينظر إلى الجدار المواجه له قائلاً :

- ابنتي .. ابنتي يا (عماد) ..

نظر (عماد) إليه بدهشة قائلاً :

- (نورا) .. ماذا بها ؟

قال وفي عينيه نظرة ضيق :

- إنني غير راضٍ عن تصرفاتها ..

- هل فعلت شيئاً أغضبك ؟

قال وهو يشبك أصابعه في بعضها :

- بل قل أشياء .. إنني لا أدرى ما الذي حدث

لهذه الفتاة ؟

***** ١٥ *****

قال له (عماد) متحرّجاً :

- فى الحقيقة يا دكتور .. أنا لا أسمح لنفسى بالتدخل فى مثل هذه الأمور الشخصية .. لكن لو سمحت لى أن أسألك ما هو الذى يضايقك منها بالضبط ؟

قاطععه الدكتور (نافع) قائلاً :

- تصرفاتها الطائشة ! إنها تتصرف بطريقة فتاة أمريكية متحررة .. ونسيت أننا وإن كنا نعيش فى هذا المجتمع .. ونحمل جنسية هذه الدولة ، إلا أننا مصريون .. جنورنا نشأت هناك فى مصر .. وليس هنا .. ولا نستطيع أن نفتلح أنفسنا من هذه الجنور ، حتى لو عشنا فى بلاد أخرى مختلفة ، وامتد بنا العمر بها ..

- هل تسمح لى أن أخرج وأبدي رأياً فى هذا الأمر ؟

- تكلم يا (عماد) .. لم كل هذه التحفظات ؟ لو سمحت أن أسألك .. لو سمحت أن أبدي رأياً .. أنت تعرف أنك لم تعد بالنسبة لى طالباً أشرف على دراسته .. أو مساعداً لى فى عملى فقط ..

***** ١٦ *****

لقد توثقت علاقتى بك حتى صرت أعتبرك بمثابة ابن لى .. وكنت أظنك تشعر بهذا وتفهمه ..

قال (عماد) وقد أسعدته هذه الكلمات :

- بالطبع يا دكتور .. ويشرفنى ذلك ..

- إذن قل ما عندك ..

- إتنى أرى أنك متساهل معها بعض الشيء ..

وربما كان هذا التساهل هو الذى أدى بها إلى التمادى فى هذه التصرفات الطائشة ..

قال الدكتور (نافع) معقّباً :

- معك حق .. ربما أكون قد أخطأت بتساهلى معها

منذ البداية .. لكن حرمتها من الأم مبكراً .. والغربة التى فرضتها عليها هنا .. بالإضافة لظروف عملى التى اضطرتنى إلى الابتعاد عنها لفترات طويلة .. دون أن أوليها العناية الكافية .. كل ذلك جعلنى أفرط فى تدليلها لتعويضها عن تلك الأشياء ..

***** ١٧ *****

- أظن أنه قد آن الأوان للتصرف معها بطريقة مختلفة ، وقبل أن تتماذى فى طيشها ..

نظر الدكتور (نافع) إليه قائلاً :

- أظن أننى أستطيع ذلك الآن ؟

- ولم لا ؟

- اخشى أن الأمر قد خرج من يدي ..

- لا تقل ذلك يا دكتور (نافع) .. فهى فى النهاية

ابنتك وأنت والدها .. من حقاك أن توجهها إلى الأسلوب

السليم ، وأن تجبرها على ذلك لو اضطررك الأمر ..

فأنت أب .. والأب مسئول .. ما دامت ابنته لا تزال

تعيش فى كنفه ولم تتزوج بعد ..

ابتسم الدكتور (عماد) بمرارة قائلاً :

- أنت تتكلم بأسلوب شاب ريفى لم يقدر له أن يعيش

فى هذا المجتمع الجديد بالقدر الكافى ..

إن أسلوب الحياة الأمريكية .. والتقاليد والقوانين
التي يفرضها المجتمع هنا لا تعطى هذه السلطات
للأب .. حيث يمكن للابن أو الابنة أن تنفصل عن
والديها وتستقل بمسكن بمفردها ، وتعيش الحياة
بالطريقة التي تحلو لها دون أى تدخل أو اعتراض
من الأسرة التي تنتمى إليها .. والحمد لله أن ابنتى لم تصل
إلى هذا الحد بعد .. برغم أنها بلغت سن الرشد ولا يستطيع
أحد منعها من ذلك ..

- لا أظن أن (نورا) قد تحولت إلى فتاة أمريكية تملأ

إلى الحد الذى تنكر معه سلطاتك الأبوية عليها ..

- ربما .. إبنى أحاول تجنب ذلك حتى لا تغفل الأمور

من يدي تملأ .. ف (نورا) تمر بمرحلة تحد ورفض

لأشياء كثيرة .. لم أعهد رفضها لها من قبل ..

وأخشى لو أفتنى بلغت فى تشدى معها أن أفقدها تملأ ..

خاصة وأن ظروف الحياة هنا تساعد على ذلك كما
قلت لك ..

إن السبيل الوحيد لممارسة سلطاني الأبوية
الحقيقية كما قلت ، هي أن نعود معاً إلى مصر .. حيث
أسلوب الحياة وتقاليد المجتمع هناك مختلفة ..
وحتى هذا قد لا يكون ذا جدوى .. إذ إنها تستطيع
أن ترفض العودة معي .. وتصر على البقاء هنا ..
والتمسك بالجنسية الأمريكية ..
قال (عماد) وهو يشعر بالتعاطف :

- هل يمكن أن يصل بها التمرد إلى هذا الحد ؟

- مع الأسف .. من الممكن أن يحدث هذا .. إنني
أكد لا أعرف ابنتي فبرغم اعترافي بتكليلي لها .. إلا أنني
ربيتها أفضل تربية .. وحرصت على أن أغرس فيها
نفس القيم والأخلاق التي تربيته عليها ..

لقد بذلت كل الجهد منذ أن كانت طفلة صغيرة لكي
أحصنها ضد أخلاقيات الحياة هنا .. والإغواءات العديدة
المنتشرة في المجتمع الأمريكي .. بالإضافة إلى إصراري
على تذكرتها بجذورها وجنسياتها المصرية .. وقد بدا
لي أنها تتفهم كل ذلك .. فبالى وقت قريب كانت
تمارس حياتها وحريتها بشكل معتدل .. وبرغم
انطلاقها وحيويتها التي تتميز بها إلا أنها لم تخرج
على نطاق الالتزامات التي حددتها لها والتي ألزمت
نفسها بها .. فلماذا هذا التحول المفاجئ ؟ وما الذي
طأ عليها لتتصرف على هذا النحو ؟ سهر إلى وقت
متأخر خارج المنزل .. اختلاط بمجموعة من الشباب
والشابات في حفلات للرقص والخلاعة .. حتى
دراستها بدأت تهملها .. وترفض أى نصيحة أو نقد
أوجهه لها ..

قال (عماد) وقد ازداد تعاطفه :

- إنني أقدر قلقك عليها ..

- لقد بدأ هذا الأمر ينعكس على ويؤثر في قدرتي على التركيز في عملي .. فأتنا أخشى على ابنتي من الضياع ..

- هل تسمح لي بالتحدث معها ؟

- لبيتك تفعل .. فأتنا أعرف أنها تحمل لك قدرًا من الإعجاب والتقدير .. ربما استطعت أن تردّها إلى عقلها .. وتعيدها إلى السلوك القديم ..



***** ٢٢ *****

٢- إني أحبك ..

دخل (عماد) إلى الملهى الليلي وهو يشعر بثقل المهمة الملقاة على عاتقه والتي ألزم نفسه بها ..

فهو بطبيعته لا يحب التردد على هذه الأماكن ، وينتابه إحساس بالضيق والاغتراب في هذا الجو الصاخب ، وهذه المظاهر الشاذة التي يبدو عليها مرتادو هذه الأماكن .. من ثياب غريبة .. وشعور طويلة ، وموسيقى ورقص أشبه بالجنون .. كما أن كل هذا الكم من دخان السجائر ورائحة الخمر التي تنبعث في المكان تكاد أن تخنقه ..

لكنه وعد الدكتور (نافع) بتقديم يد العون .. وعليه أن يفي بوعدده .. خاصة أنه يدين له بكل شيء في حياته هنا تقريبًا ..

وما لبث أن لمحها وهي مستغرقة في الرقص ..

***** ٢٣ *****

كانت ترقص بطريقة هستيرية ، وقد تدلت
سجارة من بين شفتيها وسط هذا الحشد من الشباب
والشبان الذين يشاركونها الرقص .. كما لو كانوا
ينتمون إلى عالم آخر غير الذي يعرفه ..

وأحس أنها تبدو مختلفة كثيراً عما رآها عليه
من قبل .. حقاً إنها ما زالت جميلة ولديها هذه الأنوثة
الطاغية .. تلك الأنوثة التي حركت فيه أحاسيس غريبة
لم يعهدها في نفسه من قبل .. أحاسيس تختلف تماماً
عن مشاعره تجاه (ميرفت) ..

(ميرفت) برقها وعذوبتها ووجهها الملائكي الذي
استطاع أن يحرك وجدته ، ويصل إلى أغوار الجنب للعطفي
الذي لم يكن يعرفه هو حتى في نفسه تختلف تماماً عن
تلك الفتاة التي تجذبه - كلما رآها - إلى عالم من الانبهار
والإثارة .. عالم يرفضه أحياناً بقدر ما ينجذب إليه ..

توقفت الموسيقى لبضع دقائق قبل أن تعاود صخبها
من جديد .. وتوجهت (نورا) بصحبة صديقها الذي
كانت تراقصه إلى إحدى الموائد التي التف حولها
عدد من الشبان والشابات .. لكنه اعترض طريقها
قائلاً :

- (نورا) .. أريد أن أحدثك ..

نظرت إليه بدهشة تمتزج بالسخرية قائلة :

- أنت ؟ ماذا تفعل هنا ؟ هل قررت أن تهجر أبحاثك
ودراسك لتتردد على الديسكوهات والملاهي الليلية ؟

قال لها بجدية :

- لقد جئت إلى هنا من أجلك ..

قالت له بسخرية :

- من أجلى أنا ؟ ولم كل هذا التواضع ؟ لم أكن
أعرف أنني مهمة لك إلى هذا الحد ..

لاحظ (عماد) أنها تترنج قليلاً .. ربما من أثر
الخمير الذى شربته والذى تنبعث رائحته من فمها ..
فقال لها بضيق :

- (نورا) .. أرجوك تعالى معى .. أريد أن أتحدث
معك قليلاً ..

قالت له معترضة :

- لا شأن لك بى ..

- لكن والدك قلق بشأنك ..

قالت متهمكة :

- والدى ؟ إذن هذا هو الذى أتى بك إلى هذا
المكان ؟ كان يجب أن أعرف ذلك .. لقد أرسلك
لتسدى لى النصح وتعيدنى إلى الصواب من وجهة
نظره بالطبع ..

***** ٢٦ *****

قال (عماد) آسفًا :

- (نورا) .. إن مكاتك ليس هنا .. وهذا الذى
تفعلينه لا يليق بك ..

قالت وهى تشير له بإصبعها :

- أنت لست وصيًا على ..

سألها زميلها متبرماً بحديثهما الذى لا يفهمه :

- ماذا يريد منك هذا الشخص ؟

قالت وهى تنظر إلى (عماد) باستخفاف :

- إنه يظن أنه يستطيع أن يفرض على وصايتيه ..

قال (عماد) :

- أنا هنا بناء على طلب أبيك .. وهو قد طلب

منى أن أعيدك إلى المنزل ..

أشاحت بيدها قائلة :

- هنا لا يستطيع أحد أن يفرض على أحد ما يفعله ..

أظن أنك ما زلت فى ذلك البلد المتخلف الذى جئت منه ..

***** ٢٧ *****

انظر حولك يا عزيزى .. أنت هنا فى (أمريكا) ..
بلد الحريات ..

جذبها من ذراعها قائلاً بإصرار :

- وبالرغم من ذلك ستأتين معى ..

تدخل زميلها محاولاً منعه ، وهو يدفعه بيده إلى
الخلف .. لكن (عماد) دفعه بدوره إلى الخلف .. فسدد
له لكمة رد عليها (عماد) بكلمة أقوى منها ، جعلته
يصطدم بأحد المقاعد وقد كاد أن يسقط على الأرض ..
وهم زملاؤه بالتدخل وقد تحفز (عماد) لمواجهتهم ..
لكنها حالت دون تطور الأمور بينهم .. قائلة :

- أرجوكم ! لا داعى لذلك ..

ثم التفتت إليه وهى تقول مستطردة :

- سأتى معك ..

جلست بجانبه فى السيارة التى تولت قيادتها وهى
واجهته دون أن تتحدث إليه بشيء ..

وقد حاول أن يقطع هذا الصمت الذى أحاط بهما قفلاً :
- آسف إذا كنت قد سمحت لنفسى بالتدخل فى
شئونك .. لكنى كنت مضطراً إلى ذلك ..

قالت وهى مستمرة فى القيادة دون أن تلتفت إليه :
- وما الذى اضطررك لذلك ؟

- إننى لا أحب أن أراك على هذه الصورة ..

- وما الذى يعنيك من أمرى ؟

- إننى مهتم بك ..

- لأننى ابنة أستاذك ورئيسك فى العمل .. أليس كذلك ؟

أكمل (عماد) قائلاً :

- وصاحب الفضل على .. إنه الشخص الوحيد الذى

مد لى يد المساعدة هنا ..

- ألم لعل لك ؟ هذا هو الشيء الذى يثير اهتمامك بى ..

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- ماذا تريدان أن أقول لك يا (نورا) ؟

قالت بسخرية تمتزج بالمرارة :

- ماذا أريد أن تقوله لى ؟ لا أظن أننى بحاجة

لأن أسمع منك أى شيء ..

- أحببنا أن نذهب إلى مكان ما ؟

- بل أفضل أن نذهب إلى المنزل مباشرة ..

لو أردت أن نذهب إلى مكان ما .. لننتاول فنجاتين

من القهوة ونتحدث أولاً قبل الذهاب إلى المنزل ؟

قاطعه قائلة :

- لا أظن أن بيننا ما يمكن أن نتحدث بشأنه ..

ألم تأت لإعادتى إلى المنزل ؟ هاأنذا فى طريقى إليه ..

***** ٣٠ *****

- نعم .. ولكن لم أكن أريد أن يراك والدك ..
وأنت على هذه الحالة ..

ابتسمت بسخرية قائلة :

- إننى لست مخمورة يا صديقى .. كما تظن ..

اطمنن ، لم أصل لهذه الحالة بعد ..

سألها قائلاً :

- (نورا) لماذا تفعلين هذا بنفسك ؟

أوقفت السيارة فجأة وهى تنتظر إليه قائلة :

- أنت السبب !

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- أنا ؟ لماذا ؟ ما الذى فعلته ؟

قالت له بعصبية :

- كان يتعين عليك أن تفهم من نفسك ..

قال وقد ازدادت دهشته :

- أفهم .. ماذا ؟

***** ٣١ *****

قالت وقد أطلت من عينيها نظرة ألم :

- إننى احبك ..

ترجع برأسه إلى الوراء ، وقد ارتسمت ملامح الحيرة
فى وجهه وهو يحدق فيها دون أن يعقب بشيء ..

ثم ما لبث أن قال :

- عندما تحدثنا فى هذا الأمر من قبل ؛ أوضحت
لك حقيقة موقفى .. وقد وجدتكَ متفهمة .. حيث
أوضحت أيضاً أن مشاعرك نحوى لم تتخط حاجز
الإعجاب .. واتفقنا فى النهاية على أن نكون أصدقاء ..

- وماذا كنت تنتظر منى أن أقوله بعد أن صدمت
مشاعرى على هذا النحو ؟

هل كنت أتوسل إليك لتبادلنى هذه المشاعر ؟

- إننى لم أكن أقصد الإساءة إلى مشاعرك .. بل
ثقى أننى أقدرها وأحترمها لكن

قاطعته بعصبية وهى تكاد أن تبكى قائلة :

- لا تقل شيئاً .. أرجوك لا تقل شيئاً .. فأى شيء
ستقوله الآن سيزيد من صعوبة الأمر ..

وعادت لتقود السيارة مرة أخرى فى طريقها إلى
المنزل وقد التزم (عماد) بالصمت احتراماً لرغبتها ..
وما لبثت أن توقفت أمام المنزل حيث سألها (عماد)
قللاً :

- هل أدخل معك ؟

لكنها اعترضت قائلة :

- أظن أنه من الأفضل أن تعود الآن إلى المركز
لتستريح .. فقد تسببت فى تعبك وتعطيلك بكثير مما يجب ..
- إننى مستعد لعمل أى شيء من أجلك ..

قالت له باستخفاف :

- تقصد من أجل الذكور (نافع) .. على أية حال إننى
سأخبره بأنك قد قمت بمهمتك على أكمل وجه ..
وأظن أن هذا سيزيد من تقديره لك ..

حاول أن يتكلم قائلاً :

- (نورا) ..

لكنها قاطعته مرة أخرى قائلة :

- من فضلك يا (عماد) .. أنا أيضاً أريد أن أستريح ..

عن إذنك ..

واستدارت متجهة إلى المنزل دون أن تضيف

كلمة أخرى .. ودون أن تلتفت إليه .. بينما ظل

واقفاً فى مكانه لبرهة من الوقت وهو يراقبها ..

ومشاعر شتى تتصارع بداخله .. ثم ما لبث أن استدار

بدوره عائداً إلى حجرته بمركز الأبحاث ..

وفى إحدى حجرات المنزل العلوية .. كان الدكتور

(نافع) واقفاً وراء النافذة داخل الحجرة المظلمة ، وهو

يترقب عودة ابنته بمزيج من مشاعر الغضب والقلق ..

***** ٣٤ *****

حينما رآها وهى تغادر السيارة بصحبة (عماد) ..

وقد لاحظ ما بينهما من اضطراب .. وهم بالتوجه إليها

وتغنيفها لتأخرها خارج المنزل حتى هذا الوقت ،

وسؤالها عن المكان الذى ذهبت إليه .. لكنه تراجع عن

ذلك .. وفضل عدم مواجهتها وهو على هذه الحالة

من الانفعال والغضب .. موجلاً ذلك إلى الصباح ..



***** ٣٥ *****

٣- المساومة ..

استغرق عماد فى كتابة بحثه ، والنتائج التى توصل إليها من خلال تجاربه العملية ؛ عندما سمع طرقات على باب حجرته .. فنهض ليفتح الباب حيث وجد أحد الأشخاص من المكلفين بحفظ الأمن فى مركز الأبحاث .. سأله قائلاً :

- آسف .. إذا كنت قد عطلتك عن عملك .. لكنى جئت لأسألك عما إذا كنت تحتاج لشيء يمكن أن أقدمه لك ..

شكره (عماد) قائلاً :

- أشكرك .. إن لدى كل ما يلزمنى هنا ..

قال له حارس الأمن :

- على أية حال .. لو احتجت لأى شيء .. لا تتردد فى إخبارى بذلك .. ويكفى أن تتصل بى عن طريق

الهاتف فى حجرتك .. فقد أوصاتى الدكتور (نافع) بالاهتمام بك ..

- أشكرك مرة أخرى .. وتأكد أثنى لن أتردد فى ذلك ..

وعاد (عماد) لمواصلة بحثه وهو يشعر بمزيد من الامتنان للدكتور (نافع) الذى يوليه كل هذا الاهتمام ..

لكنه عاد ليسمع طرقات على باب حجرته مرة أخرى بعد نصف ساعة فقط من مواصلة البحث ..

فنهض من جديد ليفتح الباب وهو يشعر بضيق لهذه المقاطعة .. وقد توقع أن يكن هو حارس الأمن مرة أخرى .. وقال لنفسه وهو يدير أكرة الباب :

- هذا ليس عرضاً بالمساعدة .. بل هو تطفل زائد عن الحد ..

لكنه فوجئ بالدكتور (نافع) واقفاً أمامه ..

فنظر إليه بدهشة قائلاً :

- دكتور (نافع) !

- هل تسمح لى بالدخول ؟

- آه .. طبعاً .. تفضل يا دكتور ..

فك الدكتور (نافع) أضرار معطفه وهو يتطلع إلى الأوراق التى يزحم بها المكتب .. وتتاول منه (عماد) المعطف ليعلقه على المشجب حيث تحدث إليه الدكتور (نافع) قائلاً :

- هل عطلتك عن بحثك ؟

أجابه (عماد) وهو يدعوه إلى الجلوس ..

- على الإطلاق يا دكتور .. ماذا تشرب ؟

- لا شىء .. اجلس يا (عماد) ..

جلس (عماد) وهو مستغرب لهذه الزيارة الليلية المفاجئة التى لم يعتدها من أستاذه ..

بينما استطرد الدكتور (نافع) قائلاً :

- لقد قطعت شوطاً طويلاً فى هذا البحث .. ولو استمر بك الحل على هذا النحو فبئنى أتوقع أن تنتهى من الدكتوراه خلال سنة أو اثنتين على الأكثر ..

- الفضل فى ذلك يرجع لمساعدتك وتوجيهاتك لى ..

- كلا .. لا تبخس من قدر نفسك .. أنت شخص مميز يا (عماد) .. وقد كانت نظرتى صائبة بشأنك .. فأنت تتميز بالذكاء والنبوغ .. فضلاً عن أن لديك الإرادة والعزيمة القوية للوصول إلى ما تهدف إليه .. وأنا واثق أنك ستكون عالماً كبيراً ..

أحسن (عماد) بالفخر وهو يرى هذا التقدير من أستاذه .. وقال :

- أشكرك يا دكتور ..

- لعك مندهش من زيارتى الليلية المفاجئة هذه لك ..

- يشرفنى حضورك فى أى وقت يا دكتور .. ولاتنس أن هذه حجرتك وأنا هنا ضيف بها ..

- لقد وجدت نفسي بحاجة للتحدث إليك .. فركبت
سيارتي وجئت إلى هنا ..

- أنا تحت أمرك يا دكتور ..

- إنه بشأن ابنتي .. أنت تعرف مدى ثقتي بك ..
وأنتى أعتبرك ابناً لى .. لذا فلا أستطيع أن أتحدث
عن أى شىء يخصها .. أو يقلقنى بشأنها سواك ..

- هل عادت إلى ما كانت عليه من قبل ؟

- فى الحقيقة منذ أن أعدتها إلى المنزل فى تلك
الليلة فى الأسبوع الماضى ، توقفت عن السهر
بالخارج .. والذهاب إلى الملاهى والديسكوهات ..
كما أن صلتها بتلك المجموعة التى كانت تزاملها تكاد
أن تكون مقطوعة تقريباً ..

- حسن .. هذه أنباء طيبة .. فما هى المشكلة إذن ؟

قال الدكتور (نافع) وفى عينيه نظرة تتم عن القلق :

- لقد حدث لها تحول عكسى تماماً ..

***** ٤٠ *****

- ماذا تقصد بذلك ؟

- أصبحت شديدة الانطوائية .. وتميل إلى العزلة ..
واختفت مظاهر المرح والحيوية التى كانت تبدو
عليها دائماً ..

- وما هو السر وراء ذلك ؟

قال الدكتور (نافع) وهو ينظر إليه :

- الإجابة لديك أنت يا (عماد) ..

نظر إليه (عماد) بدهشة قائلاً :

- أنا ؟

- نعم .. لأن كل هذه التقلبات الحادة بسبب حبها لك ..

قال (عماد) متلعثماً :

- ولكن .. يا دكتور .. أنا ..

- لا داعى لإخفاء الأمر .. فقد صارحتنى (نورا)

بالحقيقة .. إنها تحبك .. وقد حاولت الهرب من هذا الحب
فى البداية .. بالسهر والرقص ومخالطة أصحاب
السوء .. لكنها لم تفلح فى ذلك .. كانت تظن أنها تعاقب

***** ٤١ *****

نفسها على هذا الحب الذى لم تجد له مقابلًا لديك ..
والآن تعاقب نفسها بطريقة أخرى ..

- دكتور (نافع) .. صدقتى .. إننى لم أشجعها على
ذلك .. لقد حاولت أن أوضح لها الأمر .. لكنها ..

قاطعته الدكتور (نافع) قائلاً :

- أعرف ذلك يا بنى ، أعرف أنه ليس لك ذنب فى
هذا .. وأنت لم تشجعها على التماذى فى هذه
العاطفة .. ولكن .. ولكن .. هذا لم يغير فى الأمر
شيئاً .. فهى ما زالت تحبك ..

ومن الغريب أننى لم أعرف عن ابنتى أنها فتاة
عاطفية من قبل .. بل كنت أشعر أحياناً بأنها تستخف
بهذا النوع من المشاعر .. لكنها تبدو مختلفة
بالنسبة لى كثيراً فى الفترة الأخيرة .. إننى لم أرها
على هذه الحالة من قبل .. ولم أعهد فيها مثل هذه
التقلبات العنيفة ..

قال (عماد) وقد أحس بما يعتريه من قلق بشأن ابنته :
- لو بإمكانى المساعدة بشيء .. فتأكد أننى لن
أتوانى عن فعله ..

- بإمكانك أن تنتشلها مما هى فيه ..

- كيف ؟

صمت الدكتور (نافع) برهة قبل أن ينهض من مكانه
ليجلس على المكتب ويتظاهر بالنظر إلى أوراق
البحث الخاص (بعماد) .. وقال :

- هل تعرف المثل الذى يقولونه فى مصر .. اخطب
لابنتك ولا تخطب لابنك ؟

صمت (عماد) وهو ينظر إليه دون أن يعطى بشيء ..
بينما استطرد الدكتور (نافع) قائلاً :

- إننى أريدك زوجاً لابنتى ..

نظر إليه (عماد) بدهشة وقد أحس بالحرج وقال :

- إن تلك شئ يشرفنى بالطبع .. لكن .. أنت تعرف
أننى مرتبط يا دكتور ..

قال وهو ينظر إليه مباشرة :

- نعم .. أعرف ذلك .. لكنها مجرد خطبة .. أليس
كذلك ؟

- بلى .. لكننا متحابان .. وسوف نتزوج بعد حصولى
على الدكتوراه ..

- إن ما أعجبنى فىك هو أنك تتصرف وتفكر بطريقة
عملية وواقعية .. وربما كان هذا هو سر نجاحك ..
فشخص مثلك لا يسمح للعواطف أن تعترض طريقه
أو تحول دون دفعه للنجاح .. والنجاح المستمر ..
لذا فربما كان للعاطفة مكان فى حياتك .. لكنها تحتل
دائماً المرتبة الثانية .. بينما طموحك الزائد له
المكانة الأولى .. هل أنا مخطئ فيما قلته ؟

- دكتور (نافع) .. أنا لا أفهم ..

***** ٤٤ *****

قاطعته الدكتور (نافع) قائلاً :

- لا بد أن تفهم أن تلك الفتاة الريفية البسيطة لا تناسبك ..
وليست هى بالزوجة التى تصلح لعالم كبير ينتظره
مستقبل باهر مثلك .. لذا يتعين عليك أن تنحى
العواطف جانباً .. وأن تفكر بطريقة أكثر واقعية
وعملية ..

حلق (عماد) فى أستاذه وقد استوقفه ما قاله عن
منصب العالم الكبير ، والمستقبل الباهر الذى ينتظره ..
فهذه الكلمات هى التى تداعب أحلامه وخياله ..

بينما استطرد الدكتور (نافع) قائلاً :

- إننى أستطيع أن أختصر لك الطريق .. وأن أجعلك
تحصل على الدكتوراه خلال شهر أو اثنين بدلاً من
سنة أو سنتين .. سأقدم لك كل مساعدة ممكنة ..
وأعرفك بأكبر العلماء هنا .. وأصحبك إلى الجهات
العلمية المرموقة .. إننى لن أكتفى بمساعدتك فى الحصول

***** ٤٥ *****

على الدكتوراه فقط .. بل سأجعلك تحتل منصباً مرموقاً
فى هذا المركز .. وسأجعلك تحصل على الجنسية
الأمريكية بسهولة .. إننى أستطيع أن أختصر لك الكثير
من الوقت والأحلام .. لو أردت ..

ولم يعد هناك مجال للشك .. إن الدكتور (نافع)
يسالومه على الزواج من ابنته مقابل مساعدته لتحقيق
الكثير من طموحاته ..

وأحسن (عماد) بالارتباك، فالعرض مغرب ومحرج
وغير متوقع فى آن واحد .. وقال له متلعثماً :

- فى الحقيقة يا دكتور .. أنا لا أدرى ماذا أقول ؟

اقترب منه الدكتور (نافع) قائلاً :

- فكر فيما قلته لك يا (عماد) .. إن كلينا بحاجة
إلى الآخر .. أنت بحاجة لتحقيق طموحاتك .. وأنا
بحاجة للاطمئنان على ابنتى ..

***** ٤٦ *****

وبصراحة أنا لا أستطيع الاطمئنان على ابنتى إلا وهى
زوجة لشخص مثلك .. شاب مصرى .. ذى أخلاق قويمة ..
وينتظره مستقبل باهر ، وفضلاً عن ذلك فإن ابنتى
تحبه .. إن هذه هى الحماية التى أريدها لابنتى وسط
هذا المجتمع الذى أحمل جنسيته فقط ، دون أن أستطيع
تقبل سلوكياته وتقاليده .. والتى تتعارض مع كل
التقاليد والقيم التى تربيته عليها ..

- ولكن .. ما نذب هذه الفتاة التى أحببتى وتترقب
عودتى إليها وزواجى منها ؟

- إنها ستجد بلا شك الشخص الذى يناسبها ..
وستتسكك مع مرور السنين .. كما ستساها أنت أيضاً ..

ووضع يده على كتف (عماد) وهو يستطرد قائلاً :

- ربما أبدو بالنسبة لك الآن شخصاً مختلفاً عن
ذلك الذى عرفته .. وربما غيرت فكرتك عنى ..
واحترامك لى ..

***** ٤٧ *****

لكن الذى يحدثك الآن ليس هو الدكتور (نافع) العالم المرموق ذا الصيت الذائع فى الأوساط العلمية المعروفة .. والذى يتمتع بمكانة دولية مرموقة ، لكنه (نافع) الأب .. والذى يحب ابنته أكثر من أى شىء آخر .. إنها ابنتى الوحيدة .. والكائن الإنسانى الوحيد الذى أهتم به أكثر مما سواه فى هذا العالم .. لذا فإبنى مستعد أن أفعل الكثير من أجلها .. حتى لو كان ذلك متعارضاً مع بعض المبادئ التى أحملها ..

وما لبث أن نهض واقفاً مرة أخرى وهو يتجه نحو الباب .. حيث عاد ليربت على كتف (عماد) قبل أن ينصرف قائلاً :

- فكر فيما قلته يا (عماد) .. وأنا واثق أنك لن تختار إلا ما فيه صالحك .. إننى لن أتحدث فى هذا الأمر مرة أخرى .. لكنى سأنتظر أن تحدد لى موقفك قريباً بشأن ما قلته ..

★ ★ ★

٤- الاختيار الصعب ..

لم يستطع (عماد) النوم طوال الليل .. فقد ظل يفكر فيما قاله (نافع) وهو فى حيرة من أمره ..

أيضى بحبه لـ (ميرفت) ووعده لها بالزواج ؟ أم يضى بطموحاته وبالمستقبل الباهر الذى ينتظره ؟

لكنه ليس مضطراً إلى التوضيح بـ (ميرفت) .. فقد وضع قدمه على الطريق الصحيح والمستقبل ما زال مفتوحاً أمامه .. إنه يستطيع أن يحقق طموحاته .. بجهده ونكاته ونبوغه دون حاجة للاعتماد على الدكتور (نافع) .. ودون أن يضطر للتخلي عن (ميرفت) ..

واعتدل جالساً على حافة الفراش قائلاً لنفسه :

- لكنه سيختصر لى الكثير من الوقت والجهد ويدفعنى إلى النجاح الذى أنشده من أقصر الطرق ..

ونفض وهو مستمر فى حوارہ مع نفسه قائلاً :

- ثم من قال إننى لست بحاجة إليه وأنا فى هذه الظروف الراهنة .. إنه يقدم لى المسكن .. والوظيفة التى أحتاج إليها للإتفاق على نفسى .. ويقدم لى المساعدة العلمية المطلوبة للحصول على الدكتوراه .. إننى تحت رعايته الكاملة تقريباً .. ولا أرى .. ماذا سيفعل معى لو رفضت عرضه ؟ هل سينتزع منى كل ذلك ؟

أخذ يدور فى حجرته وهو يستطرد قائلاً :

- بل ربما فعل ما هو أكثر من ذلك .. فالأمر لم يكن مجرد عرض يحتاج للتفكير فقط .. بل كان يحمل فى طياته شيئاً من الوعيد .. إنه يستطيع أن يحرمنى من كل ما حصلت عليه حتى الآن .. بل ربما حاربنى فى مستقبلى هنا ..

***** ٥٠ *****

وهز رأسه وكأنه يحاول أن ينفى هذا الاحتمال قائلاً :

- لا .. لا يمكن أن يكون الدكتور (نافع) على هذه الصورة .. إنه ليس بالرجل الذى يفعل شيئاً كهذا .. لكن ما لبث أن تردد فى أفكاره قائلاً :

- ولم لا ؟ إن الرجل مجنون بحبه لابنته .. وقد قال بنفسه .. إنه مستعد أن يفعل أى شىء لأجلها .. حتى لو تعارض ذلك مع مبادئه ..

وعاد ليلقى بنفسه على الفراش وما زالت الأفكار تطارده قائلاً لنفسه :

- ماذا أفعل ؟ هل أوافق على العرض الذى قدمه لى ؟

وحاور نفسه قائلاً :

- ولم لا ؟ لماذا لا تفكر بطريقة عملية كما اعتدت أن تفعل ؟ إن هذا الزواج الذى عرضه عليك الدكتور (نافع) يحلم به أى شاب مثلك .. بل إنه يفوق الحلم ..

***** ٥١ *****

فهو سيقترن بابنة علم مشهور له مكفته .. وسيفتح
له هذا أبواباً كثيرة في طريق المجد الذي ينتظره ..
ثم إن الفتاة جميلة .. وساحرة إلى حد لا يقاوم ..
وهو نفسه يعترف بذلك .. إذن فلم التردد ؟ وما الذي
يريده أكثر من ذلك ؟

أغض عينيه قائلاً :

- لكنى أحب (ميرفت) ..

واستمر في حوارهِ مع نفسه قائلاً :

- ليس أكثر من حبك لنفسك ومستقبلك ..

- إنها لا تستحق ذلك .. فهي أيضاً تحبني .. وقد
تحملت من أجلى الكثير ..

- لن تنتظر طويلاً .. فلا بد أنها ستجد الشخص
المناسب يوماً ما كما قال الدكتور (نافع) ..

***** ٥٢ *****

ثم .. ثم إنها بالفعل لن تكون الفتاة المناسبة للمستقبل
الذى رسمته لنفسى ..

وعاد ليعتدل جالساً فوق حافة الفراش وهو يستند
برأسه على راحتيه ، وكأنه يعصرها بين يديه قائلاً
لنفسه :

- لابد أن أتوقف عن التردد .. يجب أن أحسم
هذا الأمر مع نفسى .. يجب ألا أدع شيئاً يعترض طريق
مستقبلى ..

* * *

www.lilias.com

كان حفل العرس أسطورياً .. وقد حرص الأب
على تقديم ليلة عرس رائعة لابنته ، دون أن يبخل
فى الإنفاق على ذلك ..

وكانت القاعة التى شهدت حفل الزفاف مزدهمة
بالعديد من الشخصيات المصرية والأمريكية المعروفة
التي جاءت لمجاملة الدكتور (نافع) ..

***** ٥٣ *****

بينما بنت العروس شديدة الوله بعريسها وهي تتأبط
ذراعه لتغادر القاعة فى طريقها إلى الجناح الفاخر
الذى حجزه لها أبوها فى أرقى فنادق الولاية .. وسط
مظاهر الفرح والبهجة البالغين ..

أما العريس فقد كانت تتأبطه مشاعر شتى فى هذه
اللحظات .. فقد تصارعت أحاسيس متناقضة من الحزن
والسعادة فى آن واحد .. لقد خان حبه لـ (ميرفت) ..
وضحى به من أجل مصلحته ومستقبله .. اختار أن
يتخلى عنها .. لكنه لم يستطع أن يتقلب على حبه
لها .. برغم خيانتته لهذا الحب .. فما زالت (ميرفت)
هى الفتاة الوحيدة التى استطاعت أن تحرك أحاسيسه
وتمتلك مكاناً فى قلبه .. لم يملكه أحد سواها ..

ذلك القلب الذى ضحى به هو الآخر من أجل المستقبل
الذى رسمه لنفسه .. ترى .. ماذا ستقول عنه الآن ..
لو علمت بزواجه من (نورا)؟ وكيف سيكون وقع
الصدمة عليها؟ بل كيف سيمكنه أن يخبرها بالأمر
أو يواجهها يوماً ما؟

***** ٥٤ *****

مسكينة يا (ميرفت) ! إنك لا تستحقين ذلك ..
لكن التيار كان أقوى منى .. وتلفت حوله وهو
ينظر إلى عروسه الجميلة .. ومظاهر الثراء المحيطة
به .. وكل هذه الشخصيات التى حضرت حفل الزفاف ..
والتي لم يكن يحلم بمقابلتها من قبل .. ثم ذلك العلم
الكبير الذى أصبح حماه .. وما يمكن أن يوفره له فى
المستقبل ليكون عالماً كبيراً مثله .. وقال لنفسه ..

كيف كان يمكننى مقاومة كل ذلك ؟

* * *

تناول يديها بين أنامله بعد أن أصبحا بمفردهما فى
جناحهما بالفندق .. قائلاً :

- هل تشعرين بالسعادة ؟

ابتسمت له قائلة :

- إن سعادتى لا توصف .. لقد كان زفافنا رائعاً ..

***** ٥٥ *****

ابتسم لها قائلاً :

- والعروس فاتنة ..

سألته قائلة :

- وماذ عنك ؟ هل تشعر بالسعادة ؟

- كيف يمكننى ألا أكون سعيداً وقد تزوجت من فورى من

فتاة فاتنة مثلك ؟

تطلعت إليه قائلة :

- حقاً يا (عماد) ؟

- هل ترتابين فى ذلك ؟

- فى الحقيقة .. نعم ..

- كيف تقولين هذا ؟ وما الذى يدعوك إلى الارتياب

فى سعادتى بالزواج منك ؟

- عيناك !

نظر (عماد) إليها بدهشة قائلاً :

- عيناي ؟!

- نعم .. عيناك كانتا تبدوان حائرتين وشاردتين

أحياناً وسط كل البهجة التى تحيط بنا ..

ابتسم لها قائلاً :

- هذا وضع طبيعى .. فأنا لم أتزوج من قبل ..

والحفل الذى أقيم لنا هذه الليلة كان يحتوى على كل

ما يدعو إلى الحيرة والانبهار ..

- هل هذا هو السبب فقط ؟

قال (عماد) وهو يلف ساعده حول كتفها :

- لا أظن أن هذا هو الوقت المناسب للتساؤلات ..

لكنها لم تتراجع عن تساؤلاتها قائلة :

- (عماد) .. هل تحبنى حقاً ؟

- ولم تزوجتك إذن ؟

- ربما .. لأننى ابنة أستاذك .. والشخص الذى تدين
له بالفضل ..

- أتظنين أن هذا السبب وحده يكفى للزواج ؟
- أنا التى أسألك ..

- (نورا) .. إنك تبدين غريبة هذه الليلة .. أتسأليننى
بعد ساعات قليلة من زواجى بك إذا كنت أحبك أم لا ..
- لماذا تتهرب من الإجابة ؟

قال وهو يبتسم ابتسامة تتم عن الدهشة :
- أنا لا أتهرب من شىء .. إننى أحبك بالفعل ..
ولهذا تزوجتك ..

- وخطيبتك السابقة ؟

قال وقد بدأ يشعر بالضيق :

- أظن أنه من الأفضل أن نبدل ثيابنا .. وأن نبدأ
فى تناول العشاء بدلاً من هذا الحديث ..

***** ٥٨ *****

- ليس قبل أن أسمع إجابتك ..

- إجابتى عن ماذا ؟ (نورا) .. أنت الآن زوجتى ..
ولا مجال للحديث الآن فى أمر انتهى ..

قالت وفى صوتها نبرة تتم عن الشك :

- هل انتهى حقاً ؟

- بالطبع ..

- هذا أمر يدعو للاستغراب ؟

- لماذا ؟

- لأنك منذ فترة غير بعيدة كنت تحدثنى عن
إخلاصك للارتباط الذى جمع بينكما وعن تمسكك
بحبك لها .. وكنت ترفض حبى لك .. وفجأة انقلب الحال ..

- لست أول شخص حدث له هذا .. كثيرون قبلى
كان لهم ارتباطات سابقة .. وعاشوا قصص حب
مختلفة .. ثم اختلف الأمر بالنسبة لهم فيما بعد ..

***** ٥٩ *****

وتزوجوا من فتيات أخريات غير تلك اللاتي ارتبطوا
معهن من قبل ..

- والبعض لم يستطع أن ينسى حبه القديم ..

- إنك تفترضين شيئاً لم يحدث بعد ..

- الحيرة التي رأيته في عينيك كانت تتبني بذلك ..

- وهذا أيضاً كان افتراضاً خاطئاً .. فقد أوضحت

لك الأمر .. (نورا) .. إنني أحبك .. وتأكدى أنى سأكون

زوجاً محبباً ومخلصاً لك .. فلم يعد فى حياتى الآن

إنسانة أخرى سواك ..

وكان مخلصاً فيما قاله فى هذه اللحظة .. فقد

حسم الأمر بالنسبة له .. لقد تزوج من هذه الفتاة ..

وعليه أن يلقي بالماضى الآن وراء ظهره حتى تستقر

حياته .. ولا يعيش فى بلبلة ما بين مشاعره السابقة ،

واقعه الحالى .. إنه بحاجة للاستقرار .. والحياة الزوجية
الهادئة الرصينة .. حتى يستطيع أن يركز على عمله
وبراسته ويحقق النجاح الذى ينشده ..

لفت يديها حول عنقه وهى تهمس له قائلة :

(عماد) .. أنا أحبك .. أحبك بجنون ..

بينما لف يده حول خصرها قائلاً :

- وأنا أيضاً أحبك .. وأريد أن تتأكدى من ذلك ..

* * *



قاطعتها الأم قائلة :

- أرجوك يا بنيتى .. دعك الآن مما قاله الطبيب ..
لقد مللت الرقاد فى السرير ..

- حسن يا أمى .. ولكن خذى الدواء أولاً ..
تناولت الأم ملعقة الدواء من يد ابنتها .. وسألتها :
- كم دفعت ثمناً له ؟
ابتسمت (ميرفت) وهى تساعدها على الانتقال إلى
المقعد المتحرك قائلة :

- لا تشغلى نفسك بهذا الأمر ..
قالت الأم بعد أن بذلت الجهد للانتقال إلى المقعد ،
وقد تصبب العرق من وجهها :
- كيف لا أشغل نفسى بذلك وأنا اعرف ظروفنا جيداً ؟
سارعت ميرفت بلف بطانية صوفية حول جسد
الأم ، وهى تقودها إلى خارج الحجرة قائلة :
- المهم عندي هو صحتك .. وأى شئ آخر يمكن
التغلب عليه ..

***** ٦٣ *****

٥- فى انتظار الرد ..

اشتد المرض على والدته (ميرفت) .. وقد بدا
صوتها واهناً وهى تتادى ابنتها لتساعدها على مغادرة
الفراش ونقلها إلى المقعد المتحرك ..
وما لبثت أن حضرت إليها (ميرفت) وهى تحمل فى
يدها زجاجة دواء ..

سألتها الأم قائلة :

- أين كنت يا بنيتى ؟ لقد بح صوتى من مناداتك ..
قالت (ميرفت) وهى تندفع نحو أمها :
- آسفة يا أمى .. كنت أحضر لك الدواء .. هل
تريدين مغادرة الفراش ؟
قالت الأم وهى تلهث :
- نعم .. أريد أن أخرج إلى الشرفة ..
- لكن الدكتور .. حذر ..

***** ٦٢ *****

- المهم أنت يا (ميرفت) .. أريد أن أطمئن عليك
يا بنيتي قبل أن أموت ..

- أطل الله في عمرك يا أمي .. إتنى على خير
ما يرام .. ولا يوجد ما يدعو للقلق بشأنى ..

نظرت إليها الأم بحزن قائلة :

- كلا يا (ميرفت) .. إنك لن تستطيعي إخفاء
الحقيقة على أمك .. فأنت كالوردة التى تذبل يوماً
بعد يوم ، دون أن تسمح لأحد بأن يساعدها على
التفتح مرة أخرى ..

ابتسمت (ميرفت) برغم ملامح الإرهاق التى تبدو
على وجهها قائلة :

- أنت تبالغين فى مخاوفك على .. فوردتك مازالت
كما هى لم تذبل بعد ..

سألتها الأم قائلة :

- ألم تصلك منه رسالة بعد ؟

***** ٦٤ *****

لم تستطع (ميرفت) أن تقاوم مسحة الحزن التى
ارتسمت على وجهها .. فأدارت وجهها حتى لا تراها
أمها قائلة :

- نعم ..

- وماذا تنتظرين يا بنيتى ؟ لقد أرسلت إليه أربع
رسائل على مدار العام دون أن تتلقى أى رد على
رسائلك ..

- ربما كنت ظروفه لا تسمح بسبب دراسته وعمله و

قاطعتها أمها قائلة :

- لا تحاولي البحث عن أعذار ومبررات .. أنت نفسك
غير مقتنعة بها .. إن عدم رده على رسائلك هو فى
حد ذاته رد واضح ..

التفتت (ميرفت) إليها قائلة :

- ماذا تقصدين يا أمي ؟

- قصدى واضح يا بنيتى .. إنه يريد أن يجعلك
تفهمين من تلقاء نفسك أن ما بينكما قد انتهى ..
وأنه انشغل بحياته ومستقبله فى تلك الدولة التى
ذهب إليها عن أى شىء آخر .. وعن أى ارتباط
يربطه بك ..

- لا يا أمى .. لا تقولى هذا ..

- إذا كنت تريد أن تخذعى نفسك يا (ميرفت) ..
فأنا لن أسمح لنفسى أن أخدعك ..

- ربما لم تصل خطابتى إليه .. ربما يكون العنوان
قد تغير .. وانتقل إلى مسكن آخر ..

- حتى لو كان ما تقولينه صحيحًا .. فلماذا لم يرسل
لك أى خطاب طوال العام الماضى .. ومنذ أن أرسل
إليك خطابه الأخير ؟ ولو كان عنوانه قد تغير فلماذا
لم يحاول أن يخطر بك بذلك ؟ إن عنوان منزلنا ما زال
كما هو لم يتغير .. أم تودين أن تقولى إنه قد نسيه ؟!

لا داعى للتماس الأعذار الواهية له .. والتعلق
بآمال غير حقيقية .. فمن الواضح أنه قد حل نفسه من
ارتباطه بك ..

قالت وهى ترفض أن تصدق :

- لا يا أمى ! ليس (عماد) هو الذى يفعل ذلك ..
إن الحب الذى بيننا أقوى مما تتصورين .. ولا يمكن
أن يهون عليه بهذه السهولة ..

- بل (عماد) هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك ..
فقد كل رأى جده فيه صحيحًا .. إنه ألقى .. وهو مستعد
للتضحية بأى شىء إذا ما تعارض مع مصلحته ..
أنت فقط لا تريد أن تريه على حقيقته .. أبعدى
الغشاوة عن عينيك يا (ميرفت) .. التفتى لحياتك
ومستقبلك .. وتخلصى من هذه العاطفة الوهمية ..
فالسنوات تجرى يا بنيتى .. وأريد أن أراك فى كنف
رجل قبل أن أرحل عن الدنيا ..

- إننى لن أتزوج من أحد غير (عماد) يا أمى ..

- هل تريد أن تظلي بلا زواج من أجل شخص لا يستحق ؟

- لا يا أمى .. لا تقولى هذا عن (عماد) ..

- لا تزيدى أنت من حزنى وقلقى عليك .. فانا لا أريد أن أتركك فى هذه الدنيا وحيدة .. أنت تعرفين أنه لا أحد لك فى هذه البلدة سوى بعد وفاة أبيك وابتعاد الأقارب .. فكيف ستواجهين الحياة وأنت مجرد فتاة ضعيفة بلا وظيفة ولا رجل يحميها .. ستكونين مظمعا للجميع يا بنيتى ..

- أهل البلدة كلهم أهلى ..

- أنت لا تدريين ما هى نفوس البشر يا بنيتى .. ثم إنك الآن فى عز شبابك .. وعروض الزواج تنهال عليك من أشخاص ملائمين .. لكن الحال لن يستمر بك على هذا النحو بعد أن تتقدم بك السنون ويرحل عنك الشباب ..

إن الحاج (عبد الوهاب) قد حدثنى منذ يومين عن رغبته فى تزويجك لابنه ، وأنت طبعا تعرفين أن له ابنا هو مهندس زراعى .. والكل يشيد به .. كما أن عائلة الحاج (عبد الوهاب) من العائلات المعروفة فى البلدة .. وزيجة كهذه تتمناها أى فتاة فى البلدة .. خاصة وأنه مستعد لتحمل تكاليف الزواج ..

قالت (ميرفت) بإصرار :

- لا يا أمى .. لن أتزوج من ابن الحاج (عبد الوهاب) أو غيره .. على الأقل لأننى لا أستطيع أن اتخلى عنك وأنت فى مرضك ..

- لا تتحججى بى .. فانا أستطيع تدبير أمرى .. والكل هنا مستعد لخدمتى .. فقط وافقى أنت ولا تشغلى نفسك بأى شىء آخر ..

- كيف أترك الغير يخدمك فى مرضك وأنا على قيد الحياة ؟

- ومن قال إنك ستبتعدين عني .. إنك ستكونين
معي هنا في نفس البلدة .. ويمكنك أن تأتي كل يوم
لتريني لو أردت ولو كانت هذه هي حجتك ..

- قلت لك لا أستطيع أن أوافق يا أمي .. لا أستطيع ..

- لأنك ما زلت تأملين في عودته .. وزواجه منك ..
أليس كذلك ؟

- سأكتب له خطاباً آخر ..

- إنك تسيئين إلى كرامتك يا بنيتي .. فلو أراد أن
يرد على خطاباتك لفعل من قبل ..

قالت (ميرفت) بحزن :

- سيكون هذا هو خطابي الأخير ..

- وإذا لم يرد ..

قالت (ميرفت) مستسلمة :

- سأفقد ما تريدينه يا أمي ..

وقف (عماد) يتلقى التهاني في إحدى قاعات
الحفلات .. بمناسبة أحد الاكتشافات الجديدة التي توصل
إليها من خلال أبحاثه ، التي بدأت تجد صدًى في
الأوساط العلمية عن (الجيولوجيا الكونية) ..

وكان الدكتور (نافع) قد أقام هذا الحفل خصيصاً من
أجله احتفالاً بهذه المناسبة .. ودعا إليه كبار الشخصيات
المعروفة في الولاية .. ونخبة من العلماء والأساتذة
والصحفيين ..

خاصة أن اسم (عماد) بدأ يظهر في المجلات
المتخصصة وغيرها .. بعد أن بدأ يثير الاهتمام بأبحاثه
المتميزة في فترة زمنية قصيرة للغاية .. بالقياس إلى
غيره من العلماء والمتخصصين ..

وفي الحقيقة كان لحميه دور كبير في هذه الطفرة
التي وصل إليها (عماد) .. فقد أوفى بوعده له بعد زواجه
من ابنته .. وزاد من رعايته واهتمامه به .. وأخذ
يقدر عليه من خلاصة خبراته ومن ثروته أيضاً ..

كما أخذ يدفع به إلى الاختلاط بكبار العلماء
والأساتذة .. ويقدمه إلى الأوساط العلمية بنفسه بعد
حصوله على الدكتوراه .. وتوليه منصباً متميزاً في مركز
الأبحاث الفضائية .. وقد أحس بأن الدكتور (عماد)
هو امتداد له في هذا المكان .. كما أن العائد من هذا
النجاح يعود بلا شك على ابنته .. التي لم تعد ابنة عالم
جيولوجي شهير وناجح فقط .. بل زوجة عالم جيولوجي
وناجح أيضاً ..

تأبط الدكتور (نافع) ذراع زوج ابنته وهو
يقدمه لبعض العلماء والأساتذة .. وقد وقف ليتولى
نيابة عنه شرح مزايا الاكتشاف الجديد الذي توصل
إليه (عماد) ..

وبدأ بعضهم يناقشه في اكتشافه وقد أبدوا اهتماماً
كبيراً به .. بينما أحس (عماد) ببعض التعب والإرهاق ..
وقد تذكر أنه لم يذق طعم النوم منذ ليلتين إلا ساعات

قليلة للغاية .. كان يغلبه خلالها النعاس وهو
مستغرق في عمله بمعمله الخاص في مركز الأبحاث ..
وبدأت آثار هذا التعب تبدو واضحة على وجهه ..
مما أثار انتباه الدكتور (نافع) ، الذي استأنن مجموعة
الأشخاص الذين يحدثهم وهو يجنبه من نراعه
لينتحي به جانباً .. قائلاً له :

- (عماد) .. ماذا بك ؟

قال (عماد) وهو يرسم ابتسامة متعبة على وجهه ،
يحاول أن يخفي بها مشاعر الإجهاد التي يحسها :

- أنا .. لا شيء يا دكتور ..

قال الدكتور (نافع) وهو يتأمله :

- كيف ؟ إن وجهك يبدو مرهقاً للغاية .. كما أن عينيك نصف
مغلقتين تقريباً .. كما لو كنت لم تحظ بالنوم منذ فترة طويلة ..

- أنا لم أتم جيداً بالفعل الليلتين الماضيتين ..

قال الدكتور (نافع) وهو يشعر بالإشفاق عليه :

- أعرف ذلك .. إننى أقدر تعبك ومجهودك خلال الفترة الماضية بسبب البحث الذى كنت تجريه .. لقد لاحظت ذلك بنفسى ..

- لا أخفى عليك يا دكتور .. أشعر بأننى أكاد أن أسقط على الأرض من شدة الإعياء ..

- إذن يتعين عليك أن تعود الآن مع زوجتك إلى المنزل فوراً لتحصل على حمام دافئ .. ثم تدس نفسك تحت الفراش لتحظى بقسط وافر من النوم تعوض به تعب الأيام الماضية .. ولا داعى للحضور للمركز غداً ، فأنا أريد منك أن تنام ملء جفنيك ..

- ولكن .. كيف أغادر الحفل هكذا فجأة .. وقد أقيم خصيصاً من أجلى ؟

- لا تحمل همّاً لهذا الأمر .. سأتولى أنا الاعتذار نيابة عنك ..

- ولكن ..

قاطعه الدكتور (نافع) قائلاً بحسم :

- لا تجادلنى .. أنا الذى أقيمت هذا الحفل بمناسبة اكتشافك الجديد ، وقد حضر كل المدعوين الذين أردتهم أن يصدقوا على هذا النجاح ، وانتهى الأمر .. أما ما عدا ذلك فلا شأن لك به .. المهم عندى أن الحفل قد أدى الغرض منه علمياً وعملياً وإعلامياً .. وكل ما عليك هو أن تتسحب أنت وزوجتك من القاعة بهدوء ، ودون جذب الأنظار لتعودا إلى المنزل وتستريحاً .. فلا تنس أن زوجتك حامل أيضاً ..

- أمرك يا دكتور .. وأشكرك على كل شىء .. على الحفل .. وعلى اهتمامك بى ..

- هيا .. هيا .. لا تضع الوقت ..

اقترب (عماد) من زوجته التى كانت واقفة مع مجموعة من السيدات اللاتى حضرن الحفل .. تتحدث إليهن بسعادة ومرح ..

اعتذر لهم وهو يمسك بمرفقها لينتحي بها جانباً
وقد همس لها قائلاً :

- (نورا) .. إننى متعب للغاية وأريد أن أعود
إلى المنزل لأحظى ببضع ساعات من النوم ..

نظرت إليه (نورا) بدهشة قائلة :

- هل تريد أن ننصرف الآن ؟ إن الحفل لم يبدأ
بعد .. وكل هؤلاء قد حضروا من أجلك ..

- أعرف ذلك .. لكنى متعب للغاية كما قلت لك ..
ولا أستطيع أن أواصل البقاء معهم وأنا على هذه الحالة ..

- لكن اتصرافك الآن قد يثير غضب إبنى ..

- أبوك بنفسه هو الذى طلب منى أن نعود إلى
المنزل لنستريح ..

- حسن .. يمكنك أن تعود أنت .. فانا لست متعبة ..

- كيف ؟ هل سأعود إلى المنزل بمفردى ؟

قالت بلا مبالاة :

- ولم لا ؟ هل أنت متعب لدرجة أنك لن تستطيع
قيادة السيارة ؟

- كلا .. ولكن من الواجب عليك أن تعودى معى
إلى المنزل ..

قالت بنفس النبرة الباردة :

- وما الذى يوجب على ذلك ؟

قال وقد بدأت ردودها تثير ضيقه وانفعاله كعادتها
معه فى الأونة الأخيرة :

- لأنك زوجتى .. ولأنك حامل .. ويجب أن تستريحي
أيضاً ..

قالت له محذرة :

- اخفض صوتك .. ولا تنس أننا فى مكان عام
والأنظار تتجه إلينا .. إننى أريد أن أبقى فى هذا الحفل
على الأقل لكى أنوب عنك فى غيابك ، ولا تشغل نفسك
بالحمل .. فهذا شأنى أنا ..

قال لها محتدًا :

- كيف ؟ هل هو شاك وحدك ؟

- بالطبع .. فأنا التى أحمل الطفل ..

- وأنا الذى سأكون أباه .. لذا يتعين على أن
أهتم به وبك ..

- هل ترى أن هذا هو الوقت المناسب لمناقشة
هذه الأمور ؟

- وهل ترين أنه من اللائق أن تتركى زوجك ليعود
إلى المنزل بمفرده ، وهو متعب على هذا النحو
وتمكثى أنت هنا ؟

قالت له باستنكار :

- دعك من هذه الأفكار الشرقية العتيقة .. أنت الآن
عالم أمريكى كبير ، ويجب أن تفكر بطريقة مختلفة ..

قال لها منفعلًا :

- كلا يا سيدتى .. إننى ما زالت مصرئًا عقلًا
وقلبًا .. ولن تغلحى فى تغيير جلدى .. وأفكارى ..

لاحظ الدكتور (نافع) الحديث الانفعالى الدائر
بينهما .. فاقترب منهما وهو يهمس لهما قائلاً :

- ماذا حدث ؟ لماذا تبدوان منفعلين هكذا ؟

التفت إليه (عماد) قائلاً :

- لقد طلبت منها أن نعود معًا إلى المنزل كما أشرت
على .. لكنها رفضت مغادرة المكان .. وطلبت منى
أن أعود بمفردى لتلحق بى فيما بعد .. وعندما عاقبتها
على ذلك ، وأخبرتها أنه لا يلىق بها أن تتركنى أعود
إلى المنزل بمفردى ، وبأنه يتعين عليها أن تراعى
حاجتها للراحة بسبب الحمل اتهمتنى بأن تفكيرى
شرقى ورجعى ..

نظر إليها الأب بغضب قائلاً :

- زوجك معه حق يا (نورا) .. يجب أن تعتذرى له
وتذهبى معه فكلكما بحاجة للراحة ..

قالت (نورا) :

- إذا كان ما قلته يحتاج إلى الاعتذار .. حسن ..
إبنى أعذر لك يا زوجي العزيز .. أما بالنسبة للحفل ..
فبإني لا أرى أن هناك ما يمنع من بقائي ، والحق
به فيما بعد .. ولا يحتاج الأمر لكل هذا الاتهام
والجدل .. فقد اعتدت على أن أمارس حريتي الشخصية
دون تدخل من أحد حتى منك أنت يا أبى ..

قال الأب مؤنبًا :

- لكن ..

لكن (عماد) قاطعه قائلاً وقد زاده هذا الجدل
إحساسًا بالضيق والتعب :

- حسن .. فلتحضر وقتما تشاء .. سأعود بمفردي
إلى المنزل لأنني لم أعد أقوى على الاستمرار أكثر
من هذا ..

- حسن .. سأصحبها معي في سيارتي إلى المنزل
بعد انتهاء الحفل ..

عاد (عماد) إلى منزله هو يترنج من شدة التعب ..
حيث أدخل سيارته إلى (الجراج) الملحق بالمنزل ،
وتوجه إلى المنزل مباشرة ليستعد للنوم ..

لكنه لم يدر ما الذى جعله يفكر فى النظر إلى
صندوق الخطابات فى هذه اللحظة برغم تعب ..
وقبل أن يفتح الباب .. حيث عثر على خطاب عليه
طابع بريد من مصر ، وما لبث أن وجد اسمها على
الخطاب .. لقد كان الخطاب مرسلاً إليه من (ميرفت) ..

* * *



٦ - لا أستحقك ..

برغم حاجته لشديده للنوم على النحو لذى دفعه لمغفرة
الحفل ؛ إلا أن النوم جافاه منذ أن قرأ هذا الخطاب ..
وأعاد قراءته للمرة الثالثة ..

« حبيبى (عماد) ..

هذا هو الخطاب الخامس الذى أرسله إليك منذ أن
تلقيت منك خطابك الأخير .. ذلك الخطاب الذى
توقفت بعده تمامًا عن المراسلة .. ولم أحظ منك بأى
رد على أى خطاب من الخطابات الأربعة السابقة التى
أرسلتها إليك .. ولا أدري ما هو السر فى ذلك ؟
ولماذا انقطعت رسائلك عنى ؟ هل هى ظروف قاهرة
تلك التى اضطرتك لذلك ؟ أم أن هناك شيئاً ما قد طرأ
على مشاعرك نحوى ، جعلك تتوقف عن مراسلتى
على هذا النحو ؟

كل ما أرجوه أن يكون المانع خيراً .. وألا يكون
قد أصابك أى مكروه ..

حبيبى الغالى .. هذا هو العام الثالث منذ سفرك إلى
أمريكا .. وقد طال غيابك إلى الحد الذى يفوق احتمالى ،
وقد رتيت على مقلومة شوقى إليك .. والله وحده يعلم كيف
مرّ على كل يوم من أيام هذه الأعوام الثلاثة وأنا أتألم
لبعادك عنى .. وفراقك لى ؟

وكيف حافظت على حبنى وإخلاصى ووفائى لك كما
تعاهدنا منذ أن رحلت إلى أمريكا ، وعلى النحو الذى
حافظت به على حبنى وإخلاصى ووفائى لك منذ أن تفتحت
مشاعرى على معانى الحب الحقيقية على يديك ..
تلك المشاعر التى بدت لنا غامضة ونحن فى سن
الطفولة .. ثم ما لبثنا أن تبينا معناها عندما نضجت
مشاعرنا ، وتأكد لكل منا أنه قدر الآخر .. يوم أن
أدركت أنك الحب الأول والوحيد فى حياتى .. وأننى
لا أستطيع أن أهبط قلبى لشخص سواك ، وأن أكون
زوجة إلا لك ..

حبيبي الغالى .. إن هذه الغيبة الطويلة .. وانقطاع
رسائلك عنى قد جعلت البعض ومن بينهم أمى
يشككون فى صدق مشاعرك نحوى .. ويفسرون
ذلك على أنه تحول من جانبك عن الارتباط المتين الذى
يجمع بيننا .. وأن الحياة فى أمريكا قد بددت حبك لى ،
وجعلتك تعدل عن الاستمرار فى الالتزام بوعدك
بالزواج منى ..

وقد عرضنى ذلك لضغوط غير عادية وقاسية من
أجل الاقتناع بهذا الأمر والتصرف على ضوءه ..
وأنه يتعين على ألا ألزم نفسى أنا أيضا بهذا الارتباط
وأنه أضيع العمر فى الانتظار .. لكنى أرفض هذه
الضغوط وأقاومها دائما .. أتعرف لماذا ؟ لأننى
لا أستطيع أن أصدق شيئا من هذه الأقاويل .. لا يمكن
أن أصدق أنك قد توقفت عن حبى .. أو تراجعت عن
حلمنا بالارتباط الأبدى ..

لا يمكن أن أصدق إلا أنك مثلى تماما .. ما زلت على
حبك وإخلاصك ووفائك لى برغم الوسواس التى
تساورنى أحيانا .. فحب كذلك الذى جمع بيننا لا يمكن
التضحية به أو نسيانه ..

لكنى لم أعد أقوى على الصبر والاحتمال أكثر من
ذلك .. إننى بحاجة لشيء .. أى شيء يطمئننى
عليك وعلى أنك ما زلت مخلصا لحبنا وعهدنا ..
على النحو الذى أشعر به وأحسه ..

إننى لا أطلب الكثير .. وأنا أقدر ظروفك وأعجاءك ..
كل ما أطلبه منك هو أن ترد على خطابى هذا .. ولو
برسالة قصيرة أطمئن من خلالها على أحوالك ،
ويطمئن قلبى على أنك ما زلت للعهد وفيا .. وأن
تلك الوسواس التى تتنابى من آن لآخر فى غير
محلها .. وينبغى ألا أعيرها ولا أعير كلام الناس
حولى أى اهتمام ..

أرجوك يا (عماد) - إذا كتبت هذه الرسالة قد وصلتك -
أن تبادل بالرد عليها .. وأن ترأف بمشاعري وقلبي
للذين وهبتهما لك .. ولا تتركني للمزيد من الحيرة
والحرمان والقلق .. فأنا لا أستحق منك ذلك ..
وكفاتي عذاب بعبادك عنى »

حبيبتيك المخلصة (ميرفت) ..

أحس (عماد) بحزن عميق لأنه قابل هذا الحب
العظيم وتلك المشاعر المخلصة بما لا تستحقه من
خيانة وجحود .. لقد أعنته أنانيته وسعيه وراء
الشهرة والمجد عن الحفاظ على هذا الحب وعلى
الفتاة التي منحتة أجمل المشاعر التي عرفها في
حياته .. والتي قد لا يلقى مثلها أبداً ..

واجتاحه إحساس جارف بالشوق إليها .. وبلندم على
تخليه عنها .. لكن بم يفيد الندم الآن بعد فوات الأوان ؟
وبعد أن ربط حياته بإسائة لا يحبها ، ولا تستطيع أن

تمنحه الحب الذي عرفه من قبل مع (ميرفت)
ولم يجد له مثيلاً في حياته التي يحيها الآن .. برغم
الشهرة والمجد اللذين بدأ يعرفان الطريق إليه .. إنه
لن يستطيع أن يتراجع الآن عن الحياة التي اختارها لنفسه ،
والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياته مع (نورا) .. بل ربما
أنه لا يرغب في هذا التراجع بعدما وصل إليه ..
ولأن هذا الذي وصل إليه هو جزء من حلمه .. برغم
مشاعر الندم التي تجتاحه الآن .. وبرغم حنينه إلى
(ميرفت) ..

لكن لا بد أن يقبل بالأمر الواقع .. وأنه لا بد لتحقيق
النجاح من تضحيات .. لذا فلم يكن أمامه سوى أن
يضحي بحبه من أجل الوصول إلى النجاح الذي
وصل إليه الآن .. وليس من السهل عليه أن يفعل
العكس برغم حبه لـ (ميرفت) وضميره الذي يؤرقه ..

الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يريح به
ضميره الآن .. هو أن يطلعها على الحقيقة مهما كانت
قسوتها ، ولا يتركها لمزيد من الانتظار والترقب

لأمل خادع .. فعليها أن تعيش حياتها القادمة مع
الشخص الذى تستحقه بعد أن ربطت حياتها السابقة به
وبحبها له ..

لقد آن لها أن تتحرر من قيد هذا الحب .. لتكون حرة
فى اختيارها .. ولكى تواصل حياتها بالطريقة التى
ترتضيها مثله ..

نعم عليه أن يخبرها بالحقيقة مهما كانت قسوتها ..
لأن من الظلم أن يخفيها عليها أكثر من ذلك ..

إنه لم يقو على إخبارها بالتطورات الأخيرة التى
حدثت فى حياته من قبل .. وظن أنها ستدرك الحقيقة
من تلقاء نفسها ، بعد أن امتنع عن الرد على خطابها
الأخير .. فلم تكن لديه الشجاعة ليخبرها بالحقيقة ..
لكن يبدو أنها ما زالت تحسن الظن به .. وتؤمن
بإخلاصه لها على نحو يمنعها من استشفاف الحقيقة ..

فسنوات البعاد لم تنقص شيئاً من حبها له ، ومن
ثقتها بأنه لا يمكن له أن يتخلى عن هذا الحب مثلها ،
مهما كانت الأسباب والمغريات ..

إن مشاعرها البريئة لا تستطيع أن تتقبل ذلك ..
وأقل ما يفعله هو ألا يغرر بهذه المشاعر أكثر من
ذلك .. لكن ..

وفجأة تنبه لشيء ورد فى خطابها لم ينتبه إليه
من قبل ..

لقد أخبرته فى رسالتها أنها أرسلت إليه أربعة
خطابات من قبل ، لكنه فى الحقيقة لم يتسلم منها
سوى خطاب واحد .. هو الخطاب الأخير الذى امتنع عن
الرد عليه وكان ذلك منذ عام تقريباً ..

إن .. فأين ذهبت الخطابات الثلاثة الأخرى ؟

نظرت زوجته إليه بدهشة قائلة :

- ألم تنم بعد ؟ كنت أظن أنني سأجذك غارقاً فى النوم .. ومع ذلك فهلتنذا ما زلت مستيقظاً برغم ما لادعيته من تعبك وإرهاقك ..

نظر إليها بعينين فاحصتين قائلاً :

- حمداً لله على سلامتكم ..

قالت وهى تبدل ثيابها :

- ألم يكن من الأجدر بك أن تبقى معى حتى ينتهى الحفل الذى أقيم من أجلك ؟

لقد شعرت بالحرَج من كثرة سؤال المدعوين عنك ..

- لم أكن أعرف أن هذا الطراز من المدعوين يثير اهتمامك .. خاصة أنك كنت تصفينهم بالعلماء الذين يثيرون الضجر .. ولا يجيدون الحديث عن شىء غير المعامل والأبحاث العلمية ، كما كنت تصفين زوجاتهم بالعجائز الثرثرات ..

قالت له وهى مستمرة فى تبديل ثيابها :

- كلا .. الأمر هذه المرة كان مختلفاً .. لقد كان هناك صحفيون وشخصيات تثير الاهتمام الحقيقى من الولاية .. خاصة تلك المذبةة التلفزيونية .. إنه على أية حال أفضل من الملل الذى أصبح يخيم على حياتى ومن البقاء فى المنزل ..

- أنت التى ترفضين الاستمرار فى الدراسة أو الالتحاق بوظيفة ما ..

- لقد كرهت الدراسة .. ثم ما العمل الذى يمكن أن ألتحق به الآن بشهادة متوسطة ؟ خاصة بعد أن أصبحت زوجة لعالم كبير مثلك ..

- هناك الكثير من الأعمال التى تستطيعين أن تلتحقى بها .. على الأقل لتتخلصى من هذا الملل الذى تتحدثين عنه ..

- وهل نسيت الطفل الذى أحمله ؟ إننى لم أكن
شديدة الحماسة للوظيفة أو الدراسة قبل أن أحمل ..
فما بالك وقد أصبحت حاملاً الآن ..

- على أية حال .. هذه حياتك .. وأنت حرة فى
اختيارها ..

- هل أخبرك بالحقيقة ؟ إننى سريعة الضجر من
أى شئ .. ولا أظن أننى أستطيع مواصلة الحياة على
منوال واحد لفترة طويلة ..

ولكن قل لى .. هل قررت أن تبقى مستيقظاً حتى
هذه الساعة المتأخرة من الليل لتحدثنى عن ذلك ..
أم ترقباً لموعد حضورى ؟

- بل كنت أترقب حضورك بالفعل ..

قالت له وفى صوتها نبرة تحد :

- وهأنذا قد عدت .. هل تريد مواصلة الشجار
الذى بدأناه فى الحفل ؟

- بل أريد أن أسالك عما إذا كنت قد أخذت خطابات
خاصة بى خلال الأشهر الماضية دون أن تسلميتها
إلى أو تخبرينى عنها ؟

نظرت إليه بدهشة .. وقد طال صمتها برهة من
الوقت قبل أن تقول له بعصبية :

- أية خطابات ؟ وما شأنى بخطاباتك ؟

- أنت تعرفين ما أقصده .. وأنا واثق أنك قد
أخذت هذه الخطابات من صندوق البريد .. واطلعت
عليها من وراء ظهري .. ثم احتفظت بها لنفسك ..

نظرت إليه باستعلاء قائلة :

- بل مزقتها .. لو أردت أن تعرف ..

٧- الحقيقة القاسية ..

اكتسى وجهه بلامح الغضب قائلاً بانفعال :

- كيف تفعلين ذلك ؟

قالت له بانفعال مماثل :

- أنا التى يتعين على أن أسألك .. ما الذى يدعوك
للاهتمام بهذه الفتاة وبخطاباتها الآن بعد أن انتهت
علاقتك بها .. وأصبحت رجلاً متزوجاً ؟

- المسألة لا تتعلق بها .. أو بكونى رجلاً متزوجاً ..
المسألة هى كيف تسمحين لنفسك بالاطلاع على
خطابات مرسله لى وتعطين لنفسك الحق فى إغفائها
عنى وتمزيقها ؟

قالت وقد تحولت عصبيتها إلى استخفاف :

- من حقى أن أدافع عن حياتى الزوجية ..

- بخيانة الثقة .. وعدم احترام خصوصيات الزوج ..
إنك تسيئين بذلك إلى معنى العلاقة الزوجية .. إن
اطلاعت على خطاباتى من وراء ظهرى يعد أمراً
مشيناً فى حد ذاته ..

- لقد فعلت ذلك بالنسبة للخطابات المرسله من
مصر فقط ، والتى تحمل اسم خطيبتك السابقة .. أما
ماعدا ذلك فأتا لم أحاول أن أفعل نفس الشيء بالنسبة
لأية خطابات أخرى مرسله إليك ..
- هذا لا يبرر خطأك ..

- ربما أكون قد أخطأت .. ولكن عذرى هو أننى
كنت أدافع عن كرامتى كزوجة .. فلا أظن أنك كنت
ستسمح لى باستلام خطابات مرسله لى من خطيب
أو حبيب سابق .. دون أن تحاول الاطلاع عليها
ومعرفة سبب إرسالها لى ..

- ولماذا مزقتها دون أن تطلعينى عليها ؟

- لنفس السبب .. هل كنت تريد منى أن أقدم لك طواعية خطابات أرسلتها حبيبتيك السابقة ، مفعمة بكلمات الحب والمشاعر الملتهبة .. لأقف بجوارك ، وأراقبك وأنت تقرؤها باستمتاع ؟

- على الأقل كنت تتركين لى حرية التصرف فى هذا الشأن ..

قالت وهى تقترب منه وتحذجه بنظرة متصلبة :

- لقد تصرفت بالطريقة المناسبة .. وفعلت بنفسى ما كان يتعين عليك أن تفعله ..

- وما أدراك أنت بما كنت أنوى فعله ؟

- من المفترض أننى تزوجت رجلاً محترماً .. وما فعلته هو ما كان يجب أن تفعله ويفعله أى زوج محترم .. أم أنك كنت تنوى الاحتفاظ بهذه الخطابات ؟ أو ربما الرد على صاحبته بنفس الأسلوب الذى عبرت به عن مشاعرها تجاهك ؟

صاح فى وجهها قائلاً :

- من حقى أن أفعل ما أريد ..

قالت له بتعال :

- كلا .. ليس من حقك أن تفعل ما تريد .. فهناك التزامات وأخلاقيات يفرضها عليك زواجنا يا دكتور (عماد) ..

ليس هذا فحسب .. بل هناك أشياء كثيرة تدين بها لتلك الأسرة التى ارتبطت بها ، تدعونى إلى أن أتوقع منك أن تكون أكثر التزاماً من الأزواج الآخرين ..

- ماذا تعنين بذلك ؟

- لا بد أنك تفهم ما أعنيه ..

- إنك لا تكفينى بارتكاب الخطأ .. بل ترفضين أيضاً الاعتذار عنه .. وتتمادين فى محاولة الإساءة لزوجك ..

صاحت في وجهه قائلة :

- هل يمكنك أن تخبرني من منا الذي يسىء للآخر
الآن؟ إن اهتمامك بهذه الخطابات يعنى أنك مازلت
مهتمًا بمن أرسلتها ..

- إن اهتمامي هو بالمبادئ .. وبالاحترام الذي ...

قاطعته باتفعال قائلة :

- دعك من هذا .. وقل لي كيف عرفت بأمر هذه
الخطابات؟

- هل المشكلة هي كيف عرفت؟ أم بالمبدأ الذي
نتحدث عنه؟

تجاهلت سؤاله قائلة :

- لابد أنه قد وصلك منها خطاب جديد أخبرتك فيه
عن رسائلها السابقة ..

- وهل تظنين أنه كان من الممكن إخفاء هذا
الأمر عني إلى الأبد؟

- إذن .. فقد تسلمت خطابًا آخر منها ..

قال لها وهو يغادر المكان :

- لم تعد هناك جدوى من المناقشة معك ..

لكنها صاحت في وجهه قائلة وهي تعرض طريقه :

- أين هي هذه الرسالة؟

قال لها بعصبية :

- أية رسالة؟ لم أكن بحاجة لاستلام رسائل أخرى
لمعرفة ما فعلته بالخطابات السابقة ..

فهل نسيت أن الخطابات المرسلة إلى المركز العلمي
يتم تحويلها تلقائيًا إلى المنزل بواسطة ساع متخصص؟
ومن الممكن معرفة الأمر منه لو أردت ..

قالت له باتفعال :

- لا تراوغني .. فأتنا أيضًا نستطيع أن أسأل (ماك)
الساعي لمعرفة الحقيقة ..

أزاحها عن طريقه وقد زاد ضيقه بها قائلاً :

- اسألني ما تشائين .. ولكن ابتعدى الآن عن طريقى
ودعيني أتم ..

وغلر حجرة نومها متجهاً إلى إحدى الحجرات الأخرى
فى المنزل ، لينام بها وهو فى أشد حالات الغضب ..
بينما بدت (نورا) نائرة بدورها .. وقد استولت
عليها الشكوك واستبد بها الغل والغضب وهى تروح
وتغدو فى الحجرة ..

ثم ما لبثت أن أشعلت سيجارة .. وأخذت منها
بضعة أنفاس .. قبل أن تطفئها فى منفضة سجائر
زجاجية بعصبية ..

وسرعان ما تناولت منفضة السجائر لتقذف بها على
الأرض وتهشمها ..

* * *

توقفت (ميرفت) عن متابعة سيرها لدى رؤيتها
(مصطفى) مقبلاً عليها ..

***** ١٠٠ *****

قالت له مرحبة :

- أهلاً يا (مصطفى) .. حمداً لله على سلامتك ..

لكنه بدا متجهماً وهو ينظر إليها قائلاً :

- كيف حالك يا (ميرفت) ؟

- أنا بخير .. وأنت ؟

ابتسم وهو يتأمل ملامح وجهها للملاكى الرقيق قائلاً :

- أنا بخير ما دمت أراك بخير ..

بدت متحرجة وهى تسأله قائلة :

- ألم يصلك خطاب من (عماد) بعد ؟

تلاشت الابتسامة عن وجهه حينما سمع منها هذا
السؤال ، لتحل محلها ملامح الضيق وهو يرد قائلاً :

- كلا .. لم تصلنى منه أية خطابات أخرى عدا
ما أخبرتك عنه من قبل ..

***** ١٠١ *****

قالت وملاحم الأسي على وجهها :

- وأنا أيضا لم تصلني منه أية خطابات منذ أكثر من عام ..

نظر إليها بإشفاق قائلاً :

- أما زلت تترقبين عودته ؟

قالت وهي تخفض بصرها :

- بلى ..

- لا بد لك أن تنسيه يا (ميرفت) ..

نظرت إليه باستنكار قائلة :

- كيف تطلب مني ذلك يا (مصطفى) ؟

أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى قائلاً :

- كنت أظن أنك تعرفين ..

- أعرف ماذا ؟

نظر إليها وملاحم التردد والحيرة على وجهه ..
كما لو كان يبحث عن إجابة .. مما زاد من قلقها فعادت تلح عليه بالسؤال قائلة :

***** ١٠٢ *****

- ما لذي كلن يتعين على أن أعرفه ؟ قل يا (مصطفى) ..

أجابها بعد برهة من الصمت :

- لقد حصل (عماد) على الدكتوراه .. واحتل وظيفة

مرموقة في أحد المراكز العلمية الأمريكية يحلم بها

الكثيرون .. كما إنه .. كما إنه قد تزوج !

نظرت إليه بعينين غير مصدقتين قائلة :

- تزوج !

- نعم .. تزوج من ابنة أحد العلماء المصريين

الذين يعملون في أمريكا ..

أخذت تهز رأسها وكأنها ترفض تصديق ما سمعته ..

قائلة بصوت متهدج :

- كلا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً ..

قال لها وقد ازداد إشفافاً عليها :

- أعرف أن ما أقوله مؤلم .. لكن هذه هي الحقيقة ..

وعليك أن تصدقيها ..

***** ١٠٣ *****

صاحت فى وجهه قائلة :

- كيف تريد منى أن أصدق ذلك ؟

- لأنه الحقيقة ..

وأخذ يقلب فى صفحات مجلة أسبوعية يحملها

معه قائلاً :

- لقد وقعت هذه المجلة فى يدي منذ يومين

مصادفة .. ووجدت هذا الخبر بها مرفقاً به صورة

فوتوغرافية (لعماد) وزوجته بمناسبة إحدى الحفلات

التي أقيمت لهما فى (أمريكا) ..

نظرت (ميرفت) إلى الصفحة التى يوجد بها

الخبر .. وهى لا تصدق عينيها ..

لقد كانت صورة (عماد) وهو يتأبط ذراع هذه

السيدة الصناء .. وقد دون تحتها اسمه واسم زوجته ..

وقد أشار الخبر إلى حضور الدكتور (عماد)

وزوجته إحدى الحفلات ، التى أقيمت خصيصاً من أجل

تكريمه بمناسبة توصله لاكتشاف جديد ، أثار اهتمام

الأوساط العلمية الأمريكية بشأن الجيولوجيا الكونية ..

***** ١٠٤ *****

وقد استطرد الكاتب قليلاً : ومن المعروف أن الدكتور

(عماد) يعد الآن من العلماء المعنوين فى هذا المجال ..

وأنه قد حقق لنفسه ولوطنه شهرة كبيرة بعد توصله

لهذا الاكتشاف العلمى الكبير .. كما أنه من المعروف

أنه متزوج من ابنة أحد الأساتذة المصريين الذين

سبقوه فى هذا المجال .. وهو الدكتور (نافع) ..

وقد أكد الدكتور (عماد) أنه يدين بالفضل للدكتور

(نافع) ولزوجته فيما وصل إليه من نجاح ..

ويسأله عما إذا كان ينوى العودة إلى مصر أم البقاء

فى (أمريكا) أجاب بأنه لم يفكر فى ذلك بعد .. وأن

ما يعنيه الآن هو مواصلة البحث بشأن اكتشافه الجديد ..

وتأكيد نظرياته بشأن بعض الدراسات الأخرى ..

حدثت (ميرفت) فى المجلة بذهول .. وقد بدت

آثار الصدمة واضحة على وجهها ..

بينما حاول (مصطفى) أن يخفف من وقع الصدمة عليها ..

- آسف إذا كنت قد تسببت فى إيلامك .. لكننى لا أقبل

***** ١٠٥ *****

أن تظلي مخدوعة أكثر من ذلك... أظن أنه لم يعد هناك
مجال لمزيد من الانتظار والأوهام يا (ميرفت) ..

نظر إلى عينيها الذاهلتين والمغرورتين بالعبرات ..
قائلاً :

- (ميرفت) .. إتنى ..

لكنها اندفعت تركض بعيداً عنه وقد اتهمرت العبرات
من عينيها ..

* * *



***** ١٠٦ *****

٨- ما زلت أحبه ..

مضى أسبوع على وفاة والدته (ميرفت) حينما
فوجئت بساعي البريد يحضر لها خطاباً من (أمريكا) ..

لم تكن عيناها قد جفتا من الدمع بعدُ حزناً على
وفاة أمها ، التي فقت بموتها الصدر الحنون الذي ككت تلجأ
إليه في أحزانتها وهمومها ، والتي رحلت وفي قلبها
غصة وحسرة بسبب الصدمة التي تلقتها (ميرفت)
على إثر معرفتها بخيانة (عماد) لها وتخليه عنها ..
تلك الصدمة التي عصفت بآخر ما تبقى لديها من أمل ..

فضت (ميرفت) الخطاب الذي وجدت اسم (عماد)
عليه قائلاً :

- أخيراً يا (عماد) .. أخيراً وصلني خطابك الذي
ظلت أنتظره كل هذا الوقت .. ترى .. لم أرسلته الآن ؟
هل لتعزيني في وفاة أمي ؟ أم لتعزيني في ضياع حبي
وآمالى التي عقدتها عليك ؟

***** ١٠٧ *****

« حبيبتي (ميرفت) .. أتمنى من الله أن تكوني في
أتم صحة .. وأحسن حال .. وبعد ..

ترددت طويلاً قبل أن أكتب إليك هذا الخطاب ..
فهناك أشياء كثيرة قد حدثت منذ آخر خطاب أرسلته
لك يصعب على أن أخبرك بها ، أو بمعنى أدق أن
أعترف لك بها .. لكنني لا أستطيع أن أخفيها عليك أكثر
من ذلك ..

حبيبتي .. أعرف أن ما ستقرئينه قد يغير كثيراً من
نظرتك إليّ ومن مشاعرك نحوي .. وأنتك ستتهمينني
بالغدر والخيانة .. ولا أستطيع أن ألومك على ذلك ..

لكن صدقيني .. هناك أشياء كثيرة قد يضطر المرء
لفعلها دون إرادة منه ودون أن يرضى عنها .. أو يرضى
حتى عن نفسه .. وقد عشت هذه التجربة بالفعل ..

لقد وجدت نفسي في منعطف خطير في حياتي ..
كنت مهتداً بضياح كل ما ضحيت وحاربت من أجله ..
وكل ما حلمت به ..

كان يتعين عليّ أن أتزوج من ابنة أستاذي ..
وأرجوك لا تتسرعى بتهلّمي بأنني قد خنت العهد والحب ..
فأنا ما زلت أحبك وأقسم بأنني لم أحب أحداً سواك ..
كما أن مشاعري ما زالت على العهد بالوفاء لمشاعرك ..

لكن طموحي وظروفي كانت أقوى مني .. فقد
ألمح لى أستاذي الذي أصبحت أسيراً لأفضاله في
الدراسة وفي العمل وفي المعيشة ، بأنه يستطيع أن
يجردني من كل شيء لو لم أستجب لرغبته في
زواجي من ابنته .. حاولت أن أقنعه بأنني أحبك وبأننا
مرتبطان ومتفقان على الزواج بعد الحصول على
الدكتوراه .. لكن إصراره على أن يسلمني قياد ابنته
المستهترة والعنيدة .. لأرفع عن كاهله أعباء رعايته
لها في هذا المجتمع الذي يسلب الأب الكثير من
سلطاته وحقوقه على الأبناء ؛ كان الثمن الذي سلومني
عليه للاستمرار في مساعدتي على مواصلة الطريق
الذي قطعت فيه شوطاً طويلاً ، وفتح أبواباً كثيرة
للنجاح أمامي ..

ولم أستطع المقاومة .. فأننا لم أتصور أن أفقد كل ما حلت به من نجاح بعد هذا الشوط الطويل الذى قطعه ..
لم أكن لأستطيع حتى أن أعود إليك نفس الشخص الذى عرفته لو حدث لى ذلك .. فاستسلمت وتزوجت ابنته .. تزوجتها بجسدى وعقلى .. لكن قلبى ما زال ملكاً لك وحدك .. ولا أظن أن هناك من تستطيع أن تمتلكه سواك .. خاصة أن الفارق شاسع بين الفتاة التى تزوجتها .. وتلك التى أحببتها ..

أعرف أن ما قلته لا يعد تبريراً كافياً لفعلتى .. وأعرف أنني سأظل فى نظرك الشخص الذى تخلى عنك وغدر بحبك له ، وابتغى الطويل من أجله كل هذه السنين .. وربما كنت أنا نفسى غير مقتنع بالتبرير الذى أحاول أن أبرره لنفسى أمامك .. فقد أكون شخصاً أنانياً أو نفعياً أو انتهازياً .. قولى فى ما تشائين .. لكن لا تقولى إننى لا أحبك أو إننى قد نزعته هذا الحب من قلبى أو نسيته .. لأن هذا الحب مازال حياً بداخلى ..

ولن يموت إلا بموتى ، حتى لو لم أكن قادراً على المجاهرة به أو تحمل تبعاته ..

كل ما أريد أن تعرفيه هو أنني قد كتبت هذا الخطاب إليك ، وقلبى يعتصره الحزن والألم لى تتوقفى عن انتظارى أو ترقب أى خطابات أخرى تأتىك منى .. عليك أن تبنى حياتك مع شخص آخر .. ربما لن يحبك أكثر منى ، لكنه لا بد وأن يستحقك أكثر منى ..

عيشى حياتك يا حبيبتى .. واتسنى .. لكن قبل أن تتسنى .. أرجوك أن تسامحنى ..

.. (عماد)

بللت عبراتها صفحات الخطاب .. وقبل أن تصل إلى نهايته كانت العبرات قد جفت فى عينيها ..

ورددت قائلة :

- أسامحك ؟ نعم يا حبيبى .. سأسامحك برغم كل شيء .. كما أنني لن أستطيع أن أنساك .. بل ربما بعد أن تهدأ مشاعرى الملتاعة أجد نفسى أقدر دوافعك ..

وظروفك التى اضطرتك للتخلى عنى .. والتضحية
 بحبنا من أجل مستقبلك .. فأتنا أعرفك جيداً ..
 وأعرف ماذا يعنى بالنسبة لك هذا المستقبل .. وربما
 لو كنت قد أخبرتني من قبل أن زواجنا كان سيأتى
 على حساب مستقبلك .. لضحيت بهذا الزواج برغم
 أن هذا الزواج أيضاً كان حلم عمرى .. من أجل أن
 تحظى بالنجاح الذى تنشده .. ولأنه ربما كنت قد
 كرهتني لأننى كنت يوماً سبباً فى ضياع هذا
 المستقبل الباهر منك .. وأنا أفضل أن تحتفظ لى بقدر
 من الحب وأنت زوج لسواى .. على كراهيتك لى
 وأنت زوجى .. عن حياتك .. ونجاحك يا حبيبى ..
 ولكن لا تطالبني أن ابدأ مع غيرك .. أو أحيا حياتى
 بنفس طريقتك .. فحياتى قد وهبتها من أجل حبك ..
 ولا يمكن أن يدخلها أحد بعدك .. قد لا يرضى هذا
 الكثيرين .. ولكنى سرلضى بما قسمه لى القدر وبما عاهدت

نفسى عليه .. وإذا لم تكن قادراً على المجاهرة بهذا
 الحب وتحمل تبعاته كما ورد فى خطابك ، فإبتنى
 قدرة على ذلك ومستعدة لتحمل كل التبعات ..

* * *

انقضى شهران على تسلمها لهذا الخطاب ..
 والذى قضى على آخر أمل فى زواجها من الشخص
 الوحيد الذى أحبته ..

وبينما هى جالسة فى منزلها تستعيد ذكرياتها القديمة
 سمعت دقات على باب المنزل ..

فتحت الباب لتجد (مصطفى) واقفاً أمامها .. وقد
 حياها قائلاً :

- صباح الخير يا (ميرفت) ..

أحست بارتياح لرؤيته .. فقالت له مرحبة :

- أهلاً يا (مصطفى) ..

وبدا عليها الارتباك وهى لا تدرى ما إذا كان يتعين
عليها أن تدعوه للدخول - وقد أصبحت بمفردها فى
المنزل - أم تكفى بالحديث إليه من الباب ..

فهى برغم ثقتهя وصدائهما (لمصطفى) إلا أنه يتعين
عليها أن تحافظ على التقاليد .. كما أن السنة الناس فى
البلدة لا ترحم .. خاصة بعد أن أصبحت وحيدة ..

أحس (مصطفى) بحرجها .. فقال لها :
- (ميرفت) أريد التحدث إليك ..

قالت له مترددة :

- حسن تفضل ..

- كلا .. سأنتظرك بالخارج بجوار شجرة الجميز
القديمة .. يمكنك أن تلحقى بى هناك ..

***** ١١٤ *****

- هل الأمر مهم لهذه الدرجة ؟

- بالنسبة لى .. هو كذلك ..

ذهبت إليه حيث وجدته واقفاً فى انتظارها ..

وما لبث أن سألها قائلاً :

- ما الذى قررت أن تفعله الآن بعد وفاة والدتك ؟

- وما الذى يمكننى أن أفعله ؟

- إن بقاءك بمفردك هكذا أمر غير مستحب .. خاصة
وإنه لا يوجد لك أقارب فى البلدة ..

اغتنصبت ابتسامة حزينة رسمتها على شفيتها
وهى تقول له :

- أهل البلدة كلهم أقاربى ..

- نعم .. ولكن هذا لا يمنع من أن حيلتك فى هذا المنزل
بمفردك أمر غير مقبول .. خاصة أن الوحدة تجتر
الأحزان والذكريات الأليمة ..

***** ١١٥ *****

- إبنى لأخرج أحياناً .. كما أن بعض فتيت القرية يزرنتى
أحياناً أخرى .. وهذا يخفف عنى بعض الشىء ..

وماذا عندما يأتى عليك الليل .. وتجدين نفسك
مضطرة للمبيت فى هذا المنزل بمفردك ؟

عادت لتغضب ابتسامة حزينة .. ارتسمت على
شفتيها وهى تحدثه قائلة :

- أظن أننى سأخاف من النوم بمفردى ؟ إن روح
أمى رحمها الله ما زالت تشاركنى المكان ..

- ليس هذا ما أقصده ..

نظرت (ميرفت) إليه متسائلة :

- ماذا تريد أن تقول يا (مصطفى) ؟

قال محاولاً التغلب على تردده :

- أقول إنه آن الأوان لكى تفكرى فى الزواج ..

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- الزواج .. هل هذا ما جئت لتحدثنى عنه ؟

قال لها متشجعاً :

- نعم .. لا أظن أنه يوجد ما يحول دون ذلك الآن ..
فأنت ما زلت صغيرة وجميلة .. والتزامك برعاية والدتك
لم يعد قائماً بعد وفاتها ..

كما أن التزامك تجاه الارتباط الذى كان قائماً بينك
وبين (عماد) قد انقض أيضاً بعد أن أنهاه هو بنفسه ..
وقرر أن يعيش حياته بالطريقة التى اختارها ..
قالت وقد اكتسى وجهها بمسحة حزينة :

- إبنى لم أعد أفكر فى هذا الأمر ..

- ومتى تفكرين يا (ميرفت) ؟

نظرت إليه قائلة :

- إبنى لن أتزوج يا (مصطفى) ..

قال لها بضيق :

- ما هذا الذى تقولينه ؟ إن من حقك ...

قاطعته قائلة :

- أعرف أنه من حقى أن يكون لى زوج وأبناء
وأسرة .. لكنى لست راغبة فى ذلك .

قال بعد برهة من التردد :

- حتى لو كان الشخص الذى يرغب فى الزواج منك
هو أنا ؟

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- أنت !!

- نعم يا (ميرفت) هذا ما أتمناه ..

- إننى أقدر لك ذلك .. وأعرف أنك شخص نبيل
وعطوف .. وأنتك تشفق على من ...

قاطعها بدوره قائلاً بصوت متهدج :

- كلا يا (ميرفت) .. ليس للأمر علاقة بالعطف
أو الشفقة .. إننى أحبك وحبى لك لم ينشأ من اليوم
أو بالأمس .. بل منذ مرحلة مبكرة .. منذ أن كنا
صغاراً نلعب معاً أنا وأنت و(عماد) ..

إنك لم تعرفى ذلك فى حينه لأننى لم أستطع أن أبوح
بهذا الحب .. بعد أن سبقتى (عماد) فى التعبير عنه ..
وبعد أن رأيت تجاوبك مع مشاعره ..

لقد أخفيت هذا الحب فى قلبى كل هذه السنين الطويلة ..
بل حاولت حتى أن أخفيه عن نفسى حتى لا يبدو واضحاً
فى تصرفاتى معك .. وتمنيت لك و(عماد) السعادة فى
حبكما .. وأتعت نفسى بأن أبقى محتفظاً بدور الصديق ..
نظرت إليه وقد زادت دهشتها قائلة :

- (مصطفى) .. ماذا تقول ؟

- لقد انتقلت للعمل والإقامة فى الإسكندرية خصيصاً ،
سعيًا وراء الهرب من مشاعر العذاب والغيرة والحرمان
التي أحسست أنها تتآبىنى كلما رأيته أنت و(عماد) ..
فقد أدركت أن بالرغم من صداقتى ومباركتى للحب الذى
جمع بينكما .. وما تمنيتيه لكما من سعادة فإننى بشرفى
النهاية .. وإن مقاومة هذه المشاعر يفوق طاقتى
وبشريتى ، خاصة أننا كنا مضطرين للتقابل دوماً ..

لكن أظن أن من حقى الآن أن أعبر عن هذا
الحب .. وأن أخبرك به .. بعد أن انتهى الأمر بالنسبة
لـ (عماد) .. أليس كذلك ؟

ظلت تنظر إليه لبرهة دون أن تنطق بشيء .. فلم تكن
تتوقع ما سمعته منه .. ثم ما لبثت أن قالت :

- إننى أقدر مشاعرك هذه برغم أنها كانت مفاجأة
بالنسبة لى .. كما إننى أحترم كتمانك لهذه المشاعر كل
هذه السنين .. لكن هذا لن يغير فى الأمر شيئاً بالنسبة
لى .. فأتأ لا أريد أن أتزوج .. وخاصة منك أنت .. وبعد
ما قلته لى ..

- لماذا ؟ هل أنا بغيض إلى هذا الحد ؟

سارعت لتقول :

- لا يا (مصطفى) .. لا تفهمنى خطأ .. المشكلة .. أنه
برغم كل شيء فما زالت عواطفى منسقة إلى (عماد) ..

***** ١٢٠ *****

ولم تتحرر مشاعرى من حبه بعد .. فكيف أَرْضَى
لك أن تعيش مع فتاة تحيا بمشاعرها وعواطفها مع
شخص آخر ؟

قال (مصطفى) بئأس :

- لكنه لا يستحق هذه المشاعر ..

قالت له بعينين مغرورتين بالعبرات :

- لكنى لا أملك شيئاً حيالها ..

نظر إلى (دبله) الخطبة التى ما زالت تحتفظ بها فى
إصبعها قائلاً :

- إنك تظلمين نفسك ..

- إننى آسفة يا (مصطفى) ..

نظر إليها بإشفاق قائلاً :

- إننى لن أفقد الأمل فى أن ترفعى عن نفسك هذا
الظلم فى يوم من الأيام .. وحتى يحدث ذلك فسوف
أظل قائماً بدور الصديق ..

* * *

***** ١٢١ *****

٩- امرأة مستهترة ..

عاد (عماد) إلى منزله فى ساعة متأخرة من الليل .. بعد عودته مباشرة من المطار بعد أن قضى يومين فى (نيويورك) لحضور أحد المؤتمرات العلمية ..

وما إن دخل إلى المنزل حتى نزع عنه معطفه وهو ينادى زوجته .. لكنها لم تستجب لندائه .. برغم أنه قام بخفض الصوت فى جهاز التلفزيون الذى وجده مفتوحاً ..

فصعد إلى غرفته ليرى عنها .. فلم يجدها .. مما أثار دهشته .. ولم يلبث أن توجه إلى حجرة ابنته .. لكنه لم يجدها أيضاً .. مما زاد من حيرته .. لكنه سمع صوتاً فى شرفة الحجرة قبل أن يغادرها .. فتوجه إلى باب الشرفة حيث وجده غير مغلق .. فقام بفتحه .. وسرعان ما وجد ابنته منزوية

فى أحد أركان الشرفة ، وقد جلست القرفصاء وضمت يديها إلى صدرها .. وجسمها يرتجف من شدة البرد ..

فاندفع نحوها باتزعاج يسألها قائلاً :

- (منى) .. ماذا تفعلين هنا ؟ وفى هذا المناخ القارس البرودة ؟

أسرعت الطفلة لتتعلق به وهى تبكى قائلة :

- أبى .. لقد كنت خائفة ..

حملها بين ذراعيه ليدخلها إلى الحجرة قائلاً :

- خائفة من ماذا ؟

قالت وجسدها الصغير ما زال يرتعد من شدة البرد :

- من الوحش المخيف الذى يقتل الناس ..

قام الأب بوضعها فى الفراش وهو يسترها بالأغطية .. قائلاً :

- أى وحش ؟

قالت بخوف :

- الذى رأيته فى التلفزيون ..

- هل كنت تشاهدين التلفزيون ؟

أجابته قائلة :

- نعم .. لقد أسرعت لأختبئ فى الشرفة من هذا

الوحش المخيف ..

مسح بيده على شعرها ليهدئ من مخاوفها قائلاً :

- وما الذى جعلك تسهرين حتى هذا الوقت المتأخر

من الليل ؟ كان ينبغى أن تكونى نائمة منذ عدة ساعات ..

- لقد حاولت أن أنام لكنى لم أستطع .. فقد كنت خائفة ..

ابتسم لها بحنان قائلاً :

- من الوحش ؟

- بل لأننى كنت وحدى فى المنزل ..

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- لوحدك .. وأين ماما ؟

- لقد غادرت المنزل ..

- متى غادرت المنزل ؟

- منذ فترة طويلة ..

- ألم تخبرك بالمكان الذى ستذهب إليه ؟

أجابته الطفلة قائلة :

- نعم .. لقد طلبت منى فقط أن أتناول عشاى وأنام

مبكراً .. لكنى لم أستطع ذلك ..

ارتسمت ملامح الغضب على وجهه (عماد) وهو

يسألها قائلاً :

- ألم تتركك بصحبة مدبرة المنزل ؟

أجابته الطفلة قائلة :

- بلى .. لكنها انصرفت بعد مغادرة ماما للمنزل

بساعة تقريباً .. بعد أن أجرت اتصالاً هاتفياً ..

وقالت لى إنها مضطرة للذهاب لموعد مهم ..

ازدادت ملامح الغضب على وجه (عماد) وهو
يقول :

- وهل تناولت عشاءك أم لا ؟

أجابته قائلة :

- لقد تناولت إحدى الشطائر التي تركتها لى أمى
قبل ذهابها ..

سألها قائلاً :

- هل أحضر لك شطيرة أخرى ؟

- كلا ..

- إذن سأحضر لك كوباً من اللبن لتشربه .. وتنامى
بعدها مباشرة ..

ونهض ليدير جهاز التكيف حتى يشيع الدفء فى
الحجرة ، قبل أن يتوجه لإحضار كوب اللبن ..

استوقفته الطفلة قائلة :

- بابا لا تتركنى بمفردى .. إننى خائفة من الوحش ..

***** ١٢٦ *****

حاول أن يرسم ابتسامة مطمئنة على وجهه قائلاً :
- لا تخفى .. إنها مجرد صورة تليفزيونية .. ولا يوجد
أى وحش فى الحقيقة مثل ذلك الذى شاهدته ..
قالت له دون أن تتخلص من مخاوفها تماماً :
- لكن لا تطفى نور الحجرة ..
قال لها مطمئناً :

- لن أطفئه .. سأحضر كوب اللبن وأحضر على الفور ،
ولن أتركك حتى تنامى مطمئنة تماماً ..

لكن ما إن غادر الحجرة حتى أطلق زفرة طويلة
لينفث بها عن غضبه ، ثم أعد كوب اللبن للفتاة فى
المطبخ فأطاح ببراد الشاي الموضوع فوق الغاز بيده
فى انفعال شديد ، قائلاً لنفسه :

- إلى متى سيمكننى تحمل هذه التصرفات ؟

واتصل بمنزل الدكتور (نافع) ليسأل عن زوجته ..
لكنه لم يجد الدكتور (نافع) ولم يجدها .. مما زاد
من توتره ..

***** ١٢٧ *****

حاول إخفاء هذا التوتر عن ابنته .. وظل جالساً
بجوارها حتى اطمأن على أنها قد نامت .. فقام بإطفاء
نور الحجرة عائداً إلى حجرته .. وجلس يترقب
عودة زوجته ..

وفي الثانية بعد منتصف الليل عادت إلى المنزل، بينما
كان لا يزال جالساً في انتظارها دون أن يبدل ثيابه ..
وما إن أضاعت نور الحجرة حتى فوجئت برؤيته ..
فتراجعت إلى الوراء وهي تهتف قائلة :

- (عماد) .. متى عدت من السفر ؟

قال لها بهدوء مشوب بالغضب :

- أنا هنا منذ ثلاث ساعات تقريباً ..

قالت وهي تحاول أن تسترد رباطة جأشها :

- لكنك أخبرتنى أن المؤتمر لن ينتهى قبل ثلاثة
أيام ..

- المؤتمر مازال منعقدًا .. لكن دورى فيه قد انتهى ..

***** ١٢٨ *****

فاتتهزت الفرصة لأعود وأقضى بعض الوقت مع
أسرتى .. لكن يبدو أنك لم تتوقعى حضورى الليلة ..
فسمحت لنفسك أن تقضى كل هذا الوقت بالخارج ..
قالت بلا مبالاة :

- لقد ذهبت لزيارة بعض أصدقائى ..

- حتى الثانية صباحاً ؟

قالت وهي تستعد لتبديل ثيابها :

- وماذا فى ذلك ؟ لقد انتابنى الملل من بقائى طول

اليوم فى المنزل ..

قال وقد زادته لا مبالاتها انفعالاً :

- وماذا عن ابنتك الصغيرة ؟

قالت وهي تبديل ثيابها :

- لقد تركتها فى رعاية جليسة أطفال ..

- جليسة الأطفال غادرت المنزل بعد وقت قليل من

مغادرتك له ..

***** ١٢٩ *****

- كيف تفعل ذلك ؟ إننى لن أدفع دولاراً واحداً
لهذه الفتاة المستهترة .. وفضلاً عن ذلك فإبنى
سوف أشكوها ..

- هل هى وحدها المستهترة ؟ وماذا عن الأم التى
تترك بيتها وطفلها لزيارة أصدقائها .. ثم تعود فى
الثانية صباحاً إلى المنزل .. ولا تفكر حتى أن تلقى نظرة
على الابنة ؟!

- إنك لن تجعل منها مشكلة .. ولا داعى لأن ترفع
صوتك هكذا ..

- أترين أن الأمر لا يستحق أن أنفعل ؟ لقد عدت
إلى المنزل لأجد الطفلة جالسة فى الشرفة وهى ترتجف
من شدة البرد والخوف .. ومن يدرى ما الذى كان يمكن
أن تفعله طفلة لا يتجاوز عمرها أربع سنوات وهى
بمفردها فى المنزل هكذا ؟

قالت له بلا مبالاة وهى تستعد للذهاب إلى الفراش :

- الحمد لله لم يحدث شيء ..

***** ١٣٠ *****

احتقن وجهه من شدة الغضب قائلاً :

- إننى لا أدرى أى أم .. وأى زوجة أنت ؟

قالت له متحدية :

- لقد تزوجتنى وأنت تعرف أننى أحب الخروج
والسهرات .. فلا داعى لكل هذا الجدل الذى تثيره
من آن لآخر ..

نظر إليها باستياء قائلاً :

- كانت غلطة كبيرة أننى تزوجتك ..

قالت له بسخرية :

- حقاً ؟ إن هذه الغلطة التى تتحدث عنها هى
التي أوصلتك إلى ما أنت فيه الآن .. ولولا المساعدة
التي قدمها لك أبى ما كان أحد سيدعوك لحضور
مثل هذه المؤتمرات العلمية التى تذهب إليها ،
وتفتنى منزلاً أنيقاً مثل هذا الذى تعيش فيه الآن ..
أتظن أننى لا أعرف لماذا تزوجتنى ؟ إننى واثقة
أنك لم تحبنى يوماً ما .. وأنك تزوجتنى فقط

***** ١٣١ *****

لتحقيق أهدافك .. أنت مجرد شخص وصولي
وانتهازي ..

انفعل قائلاً بغضب :

- لخرسى .. إن ما وصلت إليه تحقق بفضل مجهودي
وعلمي .. وما أنا فيه الآن .. كنت سأحققه سواء بمساعدة
أبيك أو بدونها ..

قالت وهي مستمرة في سخريتها :

- حقاً ؟ هل تريد منى أن أصدق هذا ؟

قال دون أن يتمكن من التحكم في انفعاله :

- لا يهمنى إن كنت تصديقين أم لا تصديقين .. لكن
يجب أن تعرفي أنني إذا كنت قد تزوجتك .. فلأن
أباك هو الذى طلب منى ذلك .. ولأننى أقدره
وأحترمه وأدين له بالكثير من الفضل ، وافقت على
تحقيق طلبه برغم أننى لم أخطط لذلك قط .. ثم لا تنسى أنك
أنت أيضاً ضغطت على بمشاعر الحب التى حاصرتنى
بها برغم معرفتك بأننى مرتبط بفتاة سواك ..

***** ١٣٢ *****

- هل أنت نادم ؟

- لم تعد هناك فائدة من الندم الآن ..

- هذا يؤكد ما قلته من أنك لم تحبنى ..

- إنك لم تساعدنى على أن أحبك .. فمنذ أن تزوجنا
وأنت تفعلين كل ما يتعارض مع ذلك ..

- لكنك ما زلت تحبها .. أليس كذلك ؟

- لا تقحميها فى الأمر الذى نحن بصدد الآن ..

- لمست أنا .. بل أنت الذى أقممتها فى حياتنا
منذ أن تزوجنا .. لأنك لم تنسها قط ..

على أية حال .. كان يمكن لهذا الأمر أن يثير غضبى
وانفعالى من قبل .. أما الآن فلم يعد يهمنى .. لأننى
أنا أيضاً لم أعد أحبك .. وأصبحت أشعر بالضجر من
حياتى معك ..

حمل إحدى الوسائد وبطانية فى يده قائلاً :

- سأذهب لأنام فى الحجرة المجاورة ..

***** ١٣٣ *****

لكنها استوقفته قائلة :

- انتظر .. قبل أن ترحل يجب أن تعرف أنني أريد
الطلاق ..

نظر إليها بدهشة متمزج بالغضب قائلاً :

- ما هذا الذي تقولينه ؟

- أظن أنك سمعت ما قلته جيداً ..

- أنت بالتأكيد مجنونة ..

- بل أنا عاقلة تماماً .. لكني أعترف أنني ملول ..
وقد مللتك .. ولا أريد أن أواصل الحياة معك ..

- هذا نفس شعوري .. ولولا الطفلة ...

قاطعتها قائلة بتصميم :

- يمكنك أن تحتفظ بالطفلة لو أردت ..

نظر إليها باستغراب قائلاً :

إلى هذا الحد يمكنك أن تضحي بابنتك ؟

قالت له دون أن تتخلى عن إصرارها :

- على أية حال .. إنني سأستطيع أن أراها وهما نشاء ..
كما إنني واثقة أنك سترعاها جيداً .. ربما على نحو
أفضل مني ..

- إذن .. فأنت قد عقدت العزم على هذا الأمر ..

- نعم .. وكنت أتوى أن أحدثك بشأنه بعد فترة من
عودتك من السفر ، لكن ما دام الأمر قد أثير الآن ..
فمن الأفضل أن تكون الأمور واضحة ومحددة ..
- سوف أتحدث مع الدكتور (نافع) أولاً في هذا
الشأن ..

- لا تحمل هم أبى .. سأشرح له الأمر وأجعله
يفهم أنني أنا التي طلبت منك الطلاق وأصررت عليه ..
- حاولي أن تمنحي نفسك وقتاً للتفكير ..

- لقد فكرت .. وهناك شيء يجب أن أصرحك به ..
إنني أحب شخصاً آخر وسوف نتزوج بعد طلاقى منك !

حرق في وجهها وقد وقع عليه هذا الخبر وقع
الصاعقة .. فلم يملك إلا نظرات الارتداء والاحتقار
التي سبقت مشاعر الغضب لكرامته ..

وما لبث أن ألقى بما بين يديه ، وهو يجذبها نحوه
لينهال على وجهها بصفعة قوية ، أطاحت بها على
السرير قائلاً :

- سافلة .. حقيرة .. أنت طالق !

* * *



١٠- عودة الغائب ..

أنهت (ميرفت) بيع الخمسة قراريط التي ورثتها
عن أبيها إلى أحد الأشخاص بالبلدة ، بعد أن أصبح
دخلها غير كاف لتلبية احتياجاتها المعيشية ..
وقررت أن تستغل المبلغ الذي أخذته ثمنًا لبيع الأرض
في شراء آلتين للخياطة تستخدمهما هي وإحدى فتيات
القرية ، في حياكة بعض الثياب وبيعها للفتيات
والسيدات .. حتى إذا نجح الأمر توسعت في المشروع ..
خاصة أن المنزل خال عليها .. ويمكن استغلال إحدى
حجراته في هذا الأمر .. كما أن ذلك سيخفف من شعورها
بالوحدة .. ويشغل وقتها المزدحم بالذكريات الأليمة ..
والتي تساعد وحدها على اجتراحها ..

وبعد ثلاثة أيام من حصولها على ثمن بيع إرثها

الصغير .. غارث المنزل وقد تأهبت للذهاب إلى المدينة
لشراء الماكينات التي عقدت العزم على شرائها .. كما
قررت أن تمر في الطريق على الفتاة التي اختارتها
لمساعدتها لتصبحها معها في أثناء الشراء ..

لكن بينما كانت في طريقها إلى منزل الفتاة .. توقفت
فجأة وقد تسمرت قدماها على الأرض .. واتسعت
حدفتها بشدة .. وهي لا تصدق ما تراه عيناها ..
وظنت أنها تحلم فأغضت عينيها .. وعادت لتتظر
مرة أخرى في اتجاه الشخص الذي يقف أمامها على
مسافة أمتار قليلة .. ووجدت نفسها تهتف بصوت
هامس ودون وعي منها قائلة :

- (عماد) !

ظلت واقفة في مكانها وقد عجزت قدماها عن
الحركة ، في حين اتعد لساتها عن الكلام بعد أن همست
باسمه .. فقد هزتها المفاجأة بعنف ..

اقترب منها قائلاً :

- لقد افترقتك كثيراً يا (ميرفت) ..

ظلت صامتة وهي جامدة مكانها وقد استطرده قائلاً :

- انقضى وقت طويل منذ أن افترقنا .. لقد كنت
في طريقى إلى منزلك برغم خشيتى من ألا أكون
موضع ترحيب بالنسبة لك .. لكن كان لابد لى أن
أراك ..

أرداد اقتراباً منها دون أن تتحرك من مكانها وهمس
لها قائلاً :

- (ميرفت) .. ألا تقولين شيئاً ؟

وأخيراً خرجت الكلمات من حلقها بصعوبة وهي
تقول له :

- ماذا تريد أن أقول ؟

- أى شيء .. حتى لو قلت إنك تكرهيننى .. وإنك
لم تعودى راغبة فى رؤيتى ..

قالت له بصوت متهدج :

- هذا ما تمنيت .. لكننى لم أستطع .. ولا أظن أننى
أستطيع أن أكذب عليك أو على مشاعرى بالرغم من
كل شيء ..

تأملها قائلاً :

- دعينى أنظر إليك .. إنك ما زلت جميلة كالملكة ..

اكتست ابتسامتها بمسحة من الحزن قائلة :

- أنت الآن الذى تكذب .. فالسنوات الماضية ..
كانت بالنسبة لى سنوات مضاعفة أضافت إلى عمرى
الكثير بما يزيد على سنى الحقيقة .. وأخذت الكثير
من هذا الجمال الذى نتحدث عنه ..

ظل يتأملها قائلاً :

- لكننى أرى عكس ذلك ..

- على أية حال .. أشكرك .. وحمداً لله على سلامتك ..

نظر إلى (دبلة) الخطبة فى إصبعها قائلاً :

- هل هذه هى نفس (الدبلة) التى وضعتها فى
إصبعك أم أنها تحمل اسم شخص آخر ؟
نزعتها من إصبعها لتريه إياها قائلة :

- ماذا ترى ؟

أحس بالتأثر لدى رؤيته لاسمه على الدبلة قائلاً :

- إذن ما زلت تحتفظين بها ؟

- ما كان يمكننى أن أتخلى عنها ..

- هل يعنى هذا أنك لم ترتبطى بشخص آخر ..
برغم ما أخبرتك به فى خطابى الأخير ؟

نظرت إليه قائلة :

- كان يتعين عليك أن تعرف أنه لن يدخل فى حياتى
شخص آخر بعدك ، حتى لو كنت أنت قد أقيت بكل
ما بيننا وراء ظهرك ..

قال وفى عينيه مزيج من الحزن والأسف :

- لقد أخطأت فى حقك .. وأنا نادم ..

لكنها رفعت يدها أمام شفتيه لتمنعه من الاسترسال
فى الكلام قائلة :

- لم يعد هناك داع لأن تقول شيئاً آخر .. فقد
أفصحت عن كل ما أردت أن تقوله فى خطابك الأخير ..
- ما زال لدى ما أريد أن أقوله لك ..

- أكثر مما قلت ..

قال لها بلهجة متوسلة :

- (ميرفت) .. أرجو أن تفسح لى صدرك .. إتنى
مازلت بحاجة إليك .. وأريد أن تسمعنى وبعدها
قررى ما تشائين .. لكنى لن أستطيع التحدث معك
هنا .. أريد أن أقابلك فى مكان ما بعيداً عن البلدة ..
لأطلعك على أشياء كثيرة .. حدثت فى حياتى بعد
خطابى الأخير .. وأنا واثق أن قلبك الكبير لن يخيب
رجائى ..

نظرت إليه مترددة .. لكنه أسكت تردها بلحاحه قائلاً :

- أرجوك يا (ميرفت) .. أرجوك لا ترفضى مقابلتى ..
فأنا فى أمس الحاجة إليك ..

وتلاقيا فى مكان ما بعيداً عن البلدة .. حيث
تحدث إليها قائلاً :

- لقد زرت قبر جدى وأبى بمجرد عودتى إلى البلدة ..
قالت له بصوت خافت :

- كان جدك يتمنى أن يراك قبل موته بالرغم من
تظاهره بعكس ذلك ..

خفض بصره قائلاً :

- لقد أجزئنى أنه مات وهو ناقم على .. وأننى لم
أحضر جنازته ..

- أنا واثقة أنه قد غفر لك ما فعلته ..

نظر إليها قائلاً :

- وهل غفرت لى أنت أيضاً ؟

تنهدت قائلة :

- فنطلب جميعاً الغفران من الله ..

- لقد نسيت أن أعزيك فى وفاة والدتك .. رحمها الله ..

تنهدت (ميرفت) بدورها قائلة :

- أتمنى من الله أن تكون هى الأخرى قد ماتت غير
ناقمة على ..

- ولماذا تنقم عليك ؟

- كانت تتمنى أن أحقق لها أمنيتها بأن تطمئن
على وعلى زواجى واستقرارى مع شخص ما قبل
وفاتها .. لكن لم أستطع أن أحقق لها هذه الأمنية ،
ورفضت كل توسلاتها فى هذا الشأن ..

ارتسمت كل ملامح الأسف على وجهه قائلاً :

- أنا المسئول عن ذلك أيضاً ..

- كلنا مسئولون بشكل أو بآخر .. ما الذى كنت تريد
أن تحدثنى بشأنه ؟

- لقد انفصلت عن زوجتى منذ شهرين تقريباً ..

- وهل تظن أن هذا الأمر يعينى فى شىء ؟

***** ١٤٤ *****

- أرجوك يا (ميرفت) .. لاتدعى كبرياءك يتحدث
الآن .. اسمعنى حتى النهاية ..

صمتت وهى تصغى إليه ، فى حين كانت عيناها
ترقبه بنظرات مختلصة .. وكأنها تحاول أن تعوض
حرماتها من رؤيته كل هذه السنين التى ابتعد فيها
عنها ..

واستطرد قائلاً :

- لقد كان زواجى السابق فاشلاً بكل معنى الكلمة ..
وعانيت بسببه الكثير على المستوى الأسرى ..

أعترف أتنى وافقت على هذا الزواج لأسباب نفعية ..
وشخصية كنت أمر بها .. لكننى لم أستطع أن أحب
زوجتى .. وكانت حياتى معها جحيماً لا يطاق .. فقد
كانت امرأة مستهترة .. لا تعرف معنى لقدسية الزواج
وما يرتبه من حقوق والتزامات .. فضلاً عن أنها
لم تكن مخلصه ومسئولة بالقدر الذى يفرضه عليها
كونها زوجة وأماً .. لذا كان الانفصال بيننا أمراً
حتمياً ..

ولا أحب أن أسجنها داخل مدرسة داخلية لتنشأ في
ظل مفاهيم ومعتقدات غريبة ومختلفة عن التقاليد التي
تربينا عليها ونشأنا فيها ..

- إننى أقدر قلقك بهذا الشأن ..

- يمكنك أن تساعدنى فى حل هذه المشكلة ..

نظرت إليه بدهشة قاتلة :

- أنا ؟

أجابها قاتلاً :

- نعم ..

- كيف ؟

- بأن نتزوج !

* * *

المشكلة أن لدى طفلة منها .. هذه الطفلة هى
الشئ الوحيد الذى يستحق أن أحافظ عليه من تلك
الزيجة الفاشلة .. وقد تنازلت لى عن الطفلة .. أو
بمعنى أدق هربت من مسئوليتها تجاهها ، وتخلت
عن مشاعر الأمومة التى لم تمارسها بصورة فعلية
منذ أن أنجبته .. لتتحرر من أى أعباء قبل زواجها
الجديد المرتقب ..

سألته (ميرفت) باهتمام قاتلة :

- وماذا ستفعل بشأن ابنتك ؟

- هذا هو ما يقلقنى .. فأتنا أقضى أوقاتاً طويلة خارج
المنزل .. ولدى مسئوليات جسيمة .. وأضطر أحياناً
إلى السفر كثيراً من أجل المشاركة فى بعض المؤتمرات
والمراكز البحثية العلمية .. سواء فى الولايات المتحدة
أو خارجها .. وهذا سيؤثر فى قيامى بواجبى على
الوجه الأكمل تجاه رعاية ابنتى .. كما أننى لا أريد
أن أعهد بها إلى جليسات أطفال أو مربيات .. لأننى
لا أثق بأنهن سيقمن برعايتها على الوجه الأمثل ..

***** ١٤٦ *****

١٠ - حلمي الحقيقي ..

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- نتزوج ؟

قال (عماد) :

- نعم .. لا بد من إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح ..
أنا لم أحب أحداً سواك يا (ميرفت) .. كما أنني لن أجد
من هي أفضل منك لتربية ابنتي وما كنت لم تتزوجي بعد ..
قاطعتها قائلة :

- أنت لا تحب أحداً سوى نفسك يا (عماد) .. وطلبك
للزواج مني الآن لا يعني سوى أنك بحاجة لمربية
تأتمنها على تربية ابنتك .. وقد وجدت أنني أنسب
واحدة لذلك في ظل الظروف الحالية ..

- لا تظلميني يا (ميرفت) .. ربما أكون قد أخطأت
في حقك كثيراً .. لكنني لم أتوقف عن حبك قط وأنت
تعلمين هذا ..

***** ١٤٨ *****

قالت له ساخرة :

- يا لها من معادلة غريبة ! تعترف بأنك قد أخطأت
في حقى .. كما أنك لم تتوقف قط عن حبك لى ..
وتسألني ألا أظلمك .. إذن بماذا تصف ما فعلته بي
إن لم يكن هو الظلم بعينه ؟

- لننس الماضي ونفتح معاً صفحة جديدة ..

- إن جراح الماضي لم تندمل .. وصفحاتي معك
كلها تمزقت ..

- لكك قات بك مازلت تحبيني .. بالرغم من كل شيء ..
- لا أنكر أنني مازلت أحبك .. لكنني لا أستطيع
أن أسامحك ..

- من يحب يتسامح ..

- لقد سامحت كثيراً من قبل وتحملت كثيراً من قبل ..

- أرجوك يا (ميرفت) .. لا تغلبي مشاعر المرارة
والكبرياء الآن .. حاولي أن تتخلصي منها .. وأن
تفكري بمشاعر الحب فقط .. فكري في الأحلام التي
حلمنا بها معاً .. والحب الكبير الذي جمع بيننا ..

***** ١٤٩ *****

قالت له بسخرية :

- لقد أضعت هذه الأحلام .. وضحيث بهذا الحب الكبير
من أجل تطلعتك .. والآن عت لتفكر فى بعد أن اضطررتك
الظروف لذلك ..

قال لها بياس :

- إذن .. هل ستتخلين عنى ؟

قالت له وفى عينيها عاطفة صادقة :

- كلا .. لا أستطيع أن أفعل ذلك .. لأننى لست
مثلك .. لم أفعل ذلك من قبل .. ولن أفعله الآن ..

انفرجت أساريره قائلاً :

- إذن ...

قاطعه قائلة قبل أن يكمل عبارته :

- إننى لم أعد أفكر فى أمر الزواج .. منك أو من غيرك ..
فقد طرحت هذا الموضوع من حياتى .. لكنى مستعدة
لتربية ابنتك وتبنيها حتى تستقر الأمور بالنسبة لك ..

يمكنك أن تحضرها لتقيم معى .. وأنا أعدك بأننى
سأتولاهم بالعناية والرعاية كما لو كانت ابنتى تماماً ..
ابتسم قائلاً :

- إننى واثق من ذلك .. ولقد أحضرتها معى إلى
مصر بالفعل .. وسوف أحضرها لك غداً لو شئت ..
كما أننى مستعد للتكفل بجميع مصاريفها ودفع أى
مبلغ تحددينه ..

سألته قائلة :

- ما اسم ابنتك ؟

- (منى) ..

- وما عمرها ؟

- أربع سنوات ..

- لو أردت أن تحضرها إلى منزلى الليلة فسوف أكون
مستعدة لاستقبالها ..

نظر إليها بامتنان قائلاً :

- أشكرك .. أشكرك من كل قلبي يا (ميرفت) ..
إننى أستطيع أن أطمئن على ابنتى الآن .. فلن أجد
من هى أفضل منك لتربيتها .. فقد تمنيت دائماً ومنذ
ولادتها أن تكون مثلك حينما تكبر ..

- أظن أن مشكلتك قد حلت الآن .. وتستطيع أن تعود
إلى عملك دون أن تقلق بشأن ابنتك ..

- لقد حلت مشكلة ابنتى .. لكنى لم أحل مشكلتى
أنا بعد ..

- ماذا تقصد ؟

- إذا كنت قد اطمأنتت على (منى) لوجودها فى
رعايتك .. فبئنى أيضاً بحاجة إلى هذه الرعاية .. بحاجة
إلى الحب الذى فقدته .. والزوجية التى تمنيتها ..

- هل سنعود إلى هذا الأمر مرة أخرى ؟ لقد أوضحت
لك موقفى بهذا الشأن ..

***** ١٥٢ *****

- وأنا لن أستسلم لهذا الموقف .. لأننى متمسك أيضاً
بموقفى من الزواج منك ..

وفى اليوم التالى توجه (عماد) ومعه ابنته إلى
منزل (ميرفت) .. وقد تطلعت الطفلة إليها بفضول بينما
استقبلتها (ميرفت) بابتسامة واسعة قائلة :

- هل هذه هى ابنتك ؟

- نعم ..

- إنها تشبهك كثيراً ..

همس (عماد) قائلاً :

- كان من الممكن أن تكون ابنتك ..

قالت (ميرفت) وقد تحركت عاطفتها تجاه الطفلة من
الوهلة الأولى :

- المهم .. أنها تشبهك أنت .. وهذا يعنى أننى
سأحتفظ بجزء منك معى هنا سواء عدت أم لم تعد ..

***** ١٥٣ *****

- سأعود يا (ميرفت) .. أقسم لك إننى سأعود ..
سأعود من أجلك ، ومن أجل ابنتى ، ومن أجل ما اتفقتا
عليه من قبل ..

فتحت (ميرفت) ذراعها لتحضن الطفلة وتقبلها
قائلة :

- ما اسمك يا حبيبتي ؟

استكاثت الطفلة بين ذراعها قائلة :

- اسمى (منى) .. وأنت ؟

ابتسمت (ميرفت) وهى تضمها إليها بحنان قائلة :

- وأنا اسمى (ميرفت) .. وستناديننى منذ اليوم
ماما (ميرفت) ..

أحست الطفلة بتجاوب عاطفى تجاه (ميرفت) ..
وقالت :

- هل سأقيم معك هنا ؟

***** ١٥٤ *****

قبلتها (ميرفت) قائلة :

- نعم يا حبيبتي .. وسأفد لك كل ما تريدينه .. وأحضر
لك كل ما ترغبينه من لعب ..

قالت الطفلة ببراعة :

- وهل سنلعب معاً ؟

ضحكت (ميرفت) قائلة :

- بالطبع يا حبيبتي .. سنلعب معاً .. إننى أعرف

الكثير من القصص التى ستعجبك أيضاً ..

- إن ماما لم تكن ترضى أن تلعب معى أو تحكى

لى قصصاً مسلية ..

احتضنتها (ميرفت) بمرارة قائلة :

- يا حبيبتي ..

شعر (عماد) بارتياح لهذا التآلف السريع الذى

حدث بين ابنته و(ميرفت) .. مما زاد من طمأنينته

على وجودها معها ..

***** ١٥٥ *****

التفت (عماد) إلى (ميرفت) قائلاً :

- إتنى مضطر إلى السفر الآن يا (ميرفت) ..
سأذهب إلى القاهرة لأستقل الطائرة المسافرة إلى
أمريكا اليوم ..

نظرت (ميرفت) إليه باضطراب قائلة :

- بهذه السرعة ؟

- الظروف تحتم ذلك ..

أسرعت ابنته إليه لتلف ذراعيها الصغيرتين حول
ساقيه قائلة :

- إتنى لا أريد أن ترحل وتتركنى بمفردى يا أبى ..

جثا على ركبتيه وهو يتناول يديها الصغيرتين
بين يديه ليقبلهما قائلاً :

- لم نتفق على كل شيء يا حبيبتى قبل أن نأتى إلى هنا؟

نظرت إليه ابنته بعينين حزينتين قائلة :

- لكننى أريدك معى ..

- لن أغيب عنك طويلاً يا صغيرتى .. سأنهى بعض
الأعمال وأعود إليك ..

وحتى أعود أريد منك أن تحبى ملما (ميرفت) وتسمعى
كلامها ..

ابتسمت (ميرفت) وهى تنظر إليها قائلة :

- إنها ستحبنى كما أحببتها .. أليس كذلك يا (منى) ؟

عادت الابتسامة الجميلة إلى وجه الطفلة وهى
تقول لها :

- نعم .. إتنى أحبك يا ماما (ميرفت) .. لأنك
ستلعبين معى وتروين لى قصصاً كثيرة ..

احتوتها (ميرفت) بين ذراعيها وهى ترفعها إلى
صدرها قائلة :

- يا حبيبتى ..

وتساعلت بينها وبين نفسها قائلة :

- كيف تفرط أم فى ابنة كهذه ؟

مد إليها (عماد) ذراعيه قائلاً :

- والآن .. ألا تعطين قبلة لبابا قبل أن يرحل ؟

احتضنته الطفلة وهي تقبله ، بينما غلب عليه التأثير وهو يضمها إليه بشدة قائلاً :

- ستوحشيني كثيراً يا حبيبتي ..

وانزلها إلى الأرض قائلاً :

- لا أظن أنني بحاجة لكى أوصيك بها يا (ميرفت) ..

قالت (ميرفت) وقد غلب عليها التأثير بدورها :

- كيف توصيني بابنتك ؟ لقد صارت منذ اليوم ابنتى .. وساكون لها أكثر من أم ..

واصطحبته إلى خارج المنزل قائلة :

- هل ستغيب عنا كثيراً ؟

- شهرين على الأكثر .. سأنهى كافة الإجراءات المتعلقة بالطلاق .. وبعض الأعمال المتعلقة بى .. ثم أعود لتنفيذ ما اتفقنا عليه ..

قالت له وهي تشفق على نفسها من مزيد من الانتظار والتعلق بالأمل :

- لا داعى لمزيد من الوعود يا (عماد) .. يكفينى وجود (منى) معى .. فهذا يعنى أنني أحتفظ معى بجزء منك ..

قال لها وقد تدفقت مشاعر الحب من عينيه :

- لا يا (ميرفت) .. صدقيني .. أنا أيضاً بحاجة إليك .. ولم أعد أحتمل الابتعاد عنك أكثر من ذلك .. سأعود بعد شهرين .. وسنتزوج ..

قالت له بدلال وقد عاودتها الأمانى من جديد :

- لكنى لن أرحل معك إلى أمريكا ..

احتضنت يده يدها قائلاً :

- كما تريد يا حبيبتي .. إننى مستعد لتصفية كل أعمالى فى (أمريكا) .. والاستقرار فى مصر .. فقد نلت كفايتى من الحلم الأمريكى .. وأنا أريد العودة الآن إلى حلمى الحقيقى ..

١٢ - عاطفة.. وأمومة..

انقضى شهر ونصف منذ سفر (عماد) إلى أمريكا، حيث قام خلاله باتخاذ الإجراءات اللازمة بشأن طلاقه من (نورا)، وتسوية كافة المتعلقات الخاصة بهذا الطلاق ..

ونلك برغم معارضة الأب ومحاولته الحيلولة دونه ..

كذلك بدأ (عماد) إجراء الترتيبات الخاصة بتصفية أعماله في (أمريكا) والعودة إلى مصر .. بعد أن تلقى أكثر من عرض مغر من الجامعة والجهات العلمية المصرية ترحب باتضمامه لها ..

أما (ميرفت) .. فقد تراجعت عن إتمام المشروع الذى كانت تنوى تنفيذه وإقامة مشغل للحياكة؛ كي تتفرغ لرعاية الطفلة وتربيتها ..

وقد نشأت علاقة قوية وعاطفة حميمة بينها وبين ابنة (عماد) خلال هذه الفترة التى عاشتاها معاً ..

ووفرت لها من الحب والرعاية ما لم تستطع أمها الحقيقية أن تمنحها إياها خلال السنوات الأربع التى عاشتها معها ..

لقد أصبحت (منى) بالنسبة لها بمثابة ابنة حقيقية .. وغدت شديدة التعلق بها .. حتى إنها لم تعد تتصور حياتها بدونها ..

كما أنها لم تعبأ بانتقادات أهل البلدة .. وأقاربهم وهم يرونها تتكفل بتربية ابنة خطيبها السابق .. والذى هجرها ليتزوج من أخرى ..

لم تكن بحاجة لأن تفسر أو تدافع عن نفسها .. كما أنها لم تحاول أن تتحدث عن اتفاقها الأخير مع (عماد) .. ووعده لها مرة أخرى بالعودة والزواج ..

إن كل ما كان يعيها فى هذه المرحلة هو التزامها برعاية الطفلة الصغيرة ..

وتلك العاطفة الجديدة التى نشأت بينهما .. والتى عوضتها عن مشاعر سابقة فقدتها من قبل .. وأشبعت

لديها غريزة أمومة مبكرة .. كانت كامنة في نفسها
وبحاجة فقط إلى من يحركها ويكشف عن أغوارها ..

إنها الآن لم تعد تهتم بأى شيء آخر غير العناية
بهذه الطفلة ، وترقب عودة (عماد) لكى يضمها إليه
ويصباحا أسرة واحدة .. فتكون بذلك قد حققت كل
أحلامها .. ويكون القدر قد كافأها فى النهاية بسخاء على
صبرها وحرمتها وانتظارها الطويل ..

دخل (عماد) إلى مكتب الدكتور (نافع) ثائراً ، وقد
أمسك بحافة المكتب قائلاً باتفعال :
- إبنى أريد أن أعرف .. لماذا تعطل حصولى على
المستندات الخاصة بأبحاثى الأخيرة .. وتصر على الاحتفاظ
بها فى أدراج مكتبك ؟

- نظر إليه الدكتور (نافع) بهدوء قائلاً :

- إبنى لا أعطل شيئاً بالنسبة لك .. لكن هناك بعض
الإجراءات الروتينية التى يتعين اتخاذها قبل التصريح
لك بالحصول على هذه المستندات ..

***** ١٦٢ *****

- أية إجراءات ؟ إن هذه الأبحاث هى نتيجة جهدى
وخبرتى .. ومن حقى أن أحصل على المستندات الرسمية
التي تدل على ملكيتى لها ..

قال الدكتور (نافع) دون أن يتخلى عن هدوئه :

- هل يمكنك أن تجلس وتستعيد هدوءك أولاً لننكلم
معا ؟

ظل (عماد) على انفعاله :

- لن أهدأ ولن أجلس .. إبنى أعرف أنه لا علاقة
للإجراءات بتعطيل حصولى على هذه المستندات ..
كما إبنى كنت أعرف أنك ستعرق حصولى عليها
لإصرارك على أن أعود لابنتك .. واتخاذ هذه المستندات
ورقة فى يدك تساومنى عليها .. لكن يجب أن تعرف
إبنى لن أعود إلى ابنتك بأى حال من الأحوال ، حتى لو
جربتنى من الدكتوراه التى حصلت عليها ..

***** ١٦٣ *****

كفأتى ما لقيته منها طوال فترة زواجنا .. لا أنكر
أننى كنت مدينًا لك بالكثير منذ حضورى لأمرىكا ..
لكنى وفيت لك بهذا الدين حينما تزوجت من ابنتك ..
ودفعت ثمنًا غاليًا من حياتى وأعصابى ومشاعرى مع
امراة لا أطيقها ولم أعرف معها معنى الحب ، إكرامًا
لك ولابنتى التى لم تحاول حتى أن تكون جديرة
بأمومتها لها ..

تراجع الدكتور (نافع) فى مقعده قائلاً :

- لا تتظاهر ألامى بالبراءة يا دكتور (عماد) .. فكلتا
يفهم الآخر جيدًا .. لقد قبلت هذه الزيجة من أجل تحقيق
طموحاتك قبل أى شىء آخر .. وأنا لم أضغط عليك
من أجل الزواج من ابنتى .. فقط .. عدت لك المزايا
التى يمكن أن تحصل عليها من وراء هذه الزيجة ..
وكان دافعى إلى ذلك هو إعجابى بك وتقديرى لك ..
وثقتى أنك الشخص الأمثل للزواج منها ، والذي يمكن
أن آمنه عليها ..

- ولمحت لى من طرف آخر بالصعاب التى يمكن أن
تعرضنى لو لم أوافق على هذا الزواج .. حتى لا أجد
مفرًا من القبول ..

- هل تخدع نفسك أم تخدعنى ؟ إننى لست بالشخص
الذى يعتمد إلى اتخاذ هذه الوسائل الملتوية من أجل
أن يزوج ابنته .. أخلاقى .. ومركزى .. ومبادئى تمنعنى
من ذلك .. وإذا كنت قد أعجبت بسلوكك وأخلاقك
وطموحك ، مما جعلنى أرغب فى أن تكون زوجًا
لابنتى وأسعى وراء ذلك .. فهذا لا يعنى أننى كنت
سأعتمد إلى الضغط عليك أو وضع العراقيل فى طريقك
من أجل إجبارك على ذلك .. كما أنك كنت تستطيع أن
تصل إلى ماوصلت إليه الآن بمجهودك ، وبتحمل
الصعاب التى تعرض طريق كل شخص مجد وطموح
يريد أن يحقق طموحاته فى مجتمع جديد .. المنافسة فيه
قوية وشديدة القسوة .. لكن الأمر كان سيحتاج منك إلى

وقت طويل وكفاح أكبر .. فأريت أن تختصر الطريق ..
ووجدت في زواجك من (نورا) الوسيلة إلى ذلك ..
هل تستطيع أن تنكر ذلك ؟

صمت (عماد) وهو يتهاك فوق المقعد المواجه
لمكتب الدكتور (نافع) ..

ثم ما لبث أن قال :

- أعترف أن هذا كان دافعي في البداية .. كما
أننى حاولت بالفعل بدء حياة جديدة والحفاظ على هذا
الزواج ونجاحه .. لكن (نورا) لم تساعدنى على ذلك ..
وبالرغم من ذلك تحملت من أجل ابنتنا .. لكنك
تعرف جيداً أنها لم تحاول حتى أن تكون أمّاً ناجحة ..
لذا كان لا بد أن ننفصل ..

- على أية حال .. هاتمتا ذان قد انفصلتما بالفعل ..
برغم أننى كنت آمل ألا يحدث ذلك .. أو أستطيع إصلاح
الأمر على الأقل ..

لكن من الواضح أن هذا الأمر أصبح مستحيلاً .. وأنا
لا ألومك .. ولا أعفى ابنتى من المسؤولية .. بل لعلك
تعرف أننى قطعت صلتى بها بعد ما رأيته من استهتارها
وجموحها ..

كنت أتمنى أن تستطيع أنت الحد من هذا الجموح بعد
أن عجزت أنا عن ذلك .. لكن يبدو أن اللجام قد
أفلت من أيدينا نحن الاثنين .. المهم بالنسبة لى الآن
هو الطفلة .. حفيدتى ..

- لقد تركتها فى مصر كما تعلم .. بعد أن تخلت عنها
أمها بكامل إرادتها .. وسوف أعود إليها قريباً ..

- لكنى جدها .. وأنا مستعد لتحمل مسؤولية تربيته
إذا لم تكن قادراً على ذلك ..

قال (عماد) بلهجة ساخرة :

- كما ربيت أمها من قبل .. أم أنك ستعهد بها إلى
المربيات والمدارس الداخلية ؟

دعنا لا نخدع أنفسنا يادكتور (نافع) ..
فالأشخاص الذين على شاكلتنا لا يستطيعون ان يتحملوا
بمفردهم مسئولية تربية الأطفال .. كما أن أسلوب
الحياة هنا لا يساعدك على التربية السليمة خاصة بالنسبة
لابنة ستكون فى يوم من الأيام فتاة شابة ..

لقد عهدت بها لمن يستطيع أن يشاركنى تحمل هذه
المسئولية .. ويمكنه أن يمنحها الحب والعطف والاهتمام
الحقيقى ..

قال له بصوت ينم عن العاطفة :

- وهل سيمكننى أن أراها ؟

- بالطبع .. لكن فى مصر .. يمكنك أن تحضر وقتما
تشاء .. وأن تقضى معها ما ترغب من وقت ..
وكذلك سيكون الأمر بالنسبة لأمها بالرغم من تخليها
عنها .. فأننا لن أحرمها من ذلك لو استيقظت لديها
عاطفة الأمومة ..

- أشكرك يا بنى .. لقد أرحمت قلبى الآن ..

- إذا أردت أن تشكرنى حقاً .. ساعدنى فى الحصول
على المستندات الخاصة بأبحاثى الأخيرة .. فأنت
تعرف مدى أهميتها بالنسبة لى ..

- صدقتى يا بنى ، أنا لم أعمد إلى تعطيل حصولك
على هذه المستندات .. فالأمر متعلق ببعض الإجراءات
المتبعة هنا .. خاصة أن هذه الأبحاث أجريت داخل
أحد المراكز الأمريكية المتخصصة .. وبمساعداً مالية
وفرتها الحكومة .. وأنت تعرف أن الأمريكيين شديدي
الحساسية بالنسبة لأسرارهم العلمية .. خاصة بالنسبة
لمن لم يحصلوا على الجنسية الأمريكية بعد مثلك ..
لكنى أعدك بأننى سأبذل كل جهدى من أجل تيسير
حصولك على هذه المستندات ..

صافحه (عماد) وقد اختفت ملامح الانفعال التى
ارتسمت على وجهه فى البداية ، لتحل محلها مشاعر
التقدير السابقة التى يحملها تجاه أستاذه قائلاً :

- أشكرك يا أستاذى ..

شعر (عماد) ببعض التعب في أثناء عمله في أحد
المراكز العلمية بإحدى الولايات الأمريكية ، لتقديم بعض
النتائج التي توصل إليها في بحثه الأخير ..

وقد أحس بعض الذين جاعوا للاستماع والمشاهدة
بذلك .. وكذلك مدير المركز الذي يرافقه .. والذي اقترَب
منه ليهمس في أذنه قائلاً :

- إذا كنت تشعر بالتعب يمكننا تأجيل هذه المحاضرة
لما بعد ..

لكن (عماد) تحامل على نفسه قائلاً :

- كلا .. إننى أستطيع مواصلة الشرح ..

لكن بعد لحظات قليلة من الشرح وإجراء التجارب ..
ارتعش جسده فجأة وهوى على الأرض وسط ذهول
من حوله ..

بينما صاح مدير المركز قائلاً :

- فليستدع أحدكم سيارة الإسعاف على الفور !

١٣ - بعد الانتظار ..

مر عام منذ سفر (عماد) إلى أمريكا .. وقد انقطعت
رسائله واتصالاته الهاتفية وتلاشت وعوده كعفته لسابقة ..

بينما أيقنت (ميرفت) أنه يتعين عليها أن تتوقف
عن الأمل في التزامه بوعده لها هذه المرة أيضاً ..
وأنه كان من الغباء أن تثق به بعد كل ما تراجع عنه
من عهود سابقة .. وكل ما قدمه لها من أحلام وهمية ..
لقد اكتسبت مناعة ضد الصدمات بهذا الشأن ..
برغم أنه جدد الحلم القديم ..

وكان يمكنها أن تكون أسعد حالاً بعد أن رضيت
بالمصير الذى آل إليه هذا الحلم .. واستسلامها لفكرة
ضياعه إلى الأبد .. لكنها لا تعرف لماذا سعى لتعذيبها
على هذا النحو ؟ إنها لم تطالبه بأن يفى بأى شيء
مما تعاهدا عليه بعد عودته المفاجئة ..

وإذا كان قد أراد منها أن تتولى رعاية ابنته وتربيتها ، فقد وافقت على ذلك عن طيب خاطر .. بل هي سعيدة به .. لأنها تحبه .. ولأنها أحبت ابنته بالفعل .. فلماذا لم يكتف بذلك ؟ لماذا لم يخبرها بأن كل ما يريده منها هو أن تقوم بدور المربية لابنته .. لأنه لم يجد من هي أصلح منها ليأتمنها عليها ؟ لماذا عاد ليجدد المشاعر القديمة ويسرف في منح الوعود ؟ برغم أنها حاولت أن تحله من ذلك ..

كان يكفيها أنه وجد فيها الشخص الذى يشق براعيته لابنته بالرغم من كل ما حدث .. فهذا يعنى بالنسبة لها أنه مازال يحمل لها بعض الإعزاز والتقدير والثقة .. لكنه أصر على أن يعذبها بالرجاء والأمل .. يؤلمها بحبها له .. إن ما يؤلمها الآن أكثر من أى شىء .. هو سؤال ابنته الدائم عنه ، وعن سبب عدم حضوره من أمريكا برغم وعده لها بالحضور بعد شهرين ..

فهذا سؤال لم تستطع أن تجيب عنه من قبل .. ولم تجد له إجابة حتى الآن .. إن كل ما علمته عنه هو أنه قد ترك المكان الذى يقيم فيه ، واختفى دون أن يستطيع أحد أن يستدل على عناته ..

ظنت فى البداية أنه ربما يكون قد أصابه مكروه .. لكنها فوجئت بتحويل مبلغ مالى كبير من أحد البنوك الأمريكية إلى البنك المصرى الذى اعتد أن يتعامل معه ، وإن البنك قد أخطرها بإيداع هذا المبلغ فى حسابها .. ثم تسلمت رسالة قصيرة لا تتجاوز بضعة أسطر أخبرها فيها أن هذا المبلغ من أجل الإنفاق على ابنته لمدة عام .. وأنه سيرسل مبلغاً آخر بعد انقضاء العام ..

كان هذا بعد ثلاثة أشهر من سفره .. وبعدها لم يصلها أى خطاب آخر ..

لقد تساءلت وقتها .. عن سبب إرساله هذا المبلغ لتحمل نفقات ابنته لمدة عام .. ما دام قد وعد بالحضور

بعد شهرين .. خاصة وقد تجاوز هذه المدة وانقضى
شهر ثالث دون حضوره ..

لكنها سرعان ما أدركت المغزى من وراء ذلك ..
لقد قرر أن يكتفى بأن يعهد إليها برعاية ابنته ،
وإرسال مبلغ كل سنة مقابل قيامها بهذا الدور .. لقد
أراد أن يخدعها باسم الحب لكي يدفعها للقيام بدور
المربية لابنته .. وكان يمكنه أن يكون صريحاً معها
من البداية بدلاً من اللجوء للعبة الوعود المتكررة ..
كان يمكنه على الأقل أن يترك لها إجابة تجيب بها عن
أسئلة ابنته الدائمة عنه وعن سبب غيابه .. لكن (عماد)
سيفقى هو (عماد) ..

على أية حال يتعين عليها أن تتوقف عن التفكير
فى سبب غيابه وإخلاله بوعده لها .. ربما يكون قد
تزوج من أخرى .. وربما أراد أن يتحرر من مسئوليته
كأب تجاه ابنته كما فعلت أمها من قبل .. وأن يتفرغ
لمجده العلمى ..

عليها ألا تعذب نفسها بالتساؤلات .. فقد تعذبت
بما فيه الكفاية من قبل .. يجب أن تكفى حيرتها ومشاعرها
القديمة بين أضلعها .. وأن تكتفى بمشاعرها الجديدة
تجاه (منى) التى عوضتها بحبها ووجودها معها عن
أبيها الذى هجرها ..

ومضت أربعة أشهر أخرى ..

وبينما كانت (ميرفت) منشغلة بإعداد الطعام
للطفلة .. التى جلست تلعب مع قطتها الصغيرة أمام
المنزلة .. تنبهت على صوت الطفلة فجأة وهى تصيح
قائلة :

- بابا .. لقد حضر أبى !

اضطربت (ميرفت) لدى سماعها ذلك .. وقد سقط
الإناء الذى كانت تحمله من يدها مهشماً على الأرض ..
وما لبثت أن اندفعت إلى الخارج لتتبين الأمر حيث
وجدته واقفاً أمام الباب وهو يحمل ابنته بين ذراعيه ..

مرة أخرى تسمرت قدماها وهي تنتظر إليه غير
مصدقة .. وقد هتفت باسمه قائلة :

- (عماد) ؟ !

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجهه وهو ينظر
إليها قائلاً :

- كيف حالك يا (ميرفت) ؟

قالت بوجوم وقد خلا وجهها من أى تعبير برغم
اضطراب بمشاعرها :

- حمداً لله على سلامتك ..

ثم أشارت له بالدخول قائلة :

- تفضل ..

- بدت لهجته جافة وخالية من الأحاسيس وهو
يقول لها :

- أشكرك .. إبنى لن أبقى طويلاً فى البلدة .. فلنا مضطر
للسفر مرة أخرى غداً .. ويجب أن أكون فى القاهرة
بعد عدة ساعات ..

نظرت إليه وفى عينيها علامة استفهام .. وكأنها
تريد أن تسأله .. لم جئت ؟ ولم هذا الجفاء ؟

لكنه أجاب عن تساؤلاتها بعد برهة من الصمت مرت
بينهما قائلاً :

- لقد جئت لأخذ ابنتى ..

ارتسمت ملامح الصدمة على وجهها وهي تسأله قفلة :

- تأخذها .. تأخذها إلى أين ؟

أنزل (عماد) الطفلة قائلاً لها :

- سأصحبها معى إلى أمريكا ..

نظرت إليه بغضب قائلة :

- هل هذا هو كل ما جئت من أجله بعد غياب عام
ونصف ؟

ابتسم (عماد) لابنته قائلاً :

- أتنظرينى هنا يا (منى) .. سأحدث إلى ملما (ميرفت)
ثم أعود إليك ..

قالت له الطفلة محتجة :

- إننى لا أريد أن أبعد عن ماما (ميرفت) .. أريد
أن أبقى معها هنا ..

- ألا تحبين أن تسافرى مع بابا ؟

- أريد أن تبقى أنت أيضاً معنا هنا ..

صمت (عماد) دون أن يعقب على ذلك .. وقد أشار
(لميرفت) لكى تسير معه بعيداً عن الطفلة ..

وبعد أن أطمأن إلى أنه أصبح بعيداً عنها بالقدر الكفى
تحدث إلى (ميرفت) قائلاً :

- لقد تعرضت أمها لحادث سيارة .. وهى فى حالة
حرجة .. وترغب فى رؤية ابنتها .. لقد أخبرنى والد
زوجتى بذلك .. ورجأتى أن أحضر الطفلة لتراها أمها ..

- إذن فهذا ما جعلك تأتى إلى هنا ؟

***** ١٧٨ *****

أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى متجاهلاً نظراتها
وهو يقول بجفاء :

- نعم ..

ولما رآها وقد التزمت الصمت دون أن تحاول
التعقيب بشيء .. تحدث قائلاً وهو يحاول البحث عن
كلمات :

- (ميرفت) .. هناك ظروف .. اضطرتنى ...

قاطعته قائلة وهى تحاول أن توفر عليه البحث
عن أعذار :

- إن من حق أمها أن تراها بالطبع .. خاصة وهى
تمر بهذه الظروف .. لكن هل يعنى هذا أنها ستبقى فى
أمريكا .. وأنتك تنوى إبعادها عنى ؟

- لفترة مؤقتة فقط ..

- لقد أصبحت شديدة التعلق بهذه الطفلة .. أرجوك
لا تحرمنى منها ..

- أعدك أن تعود إليك مرة أخرى ..

***** ١٧٩ *****

قالت وعيناها تكذباته :

- أخشى أن يكون ذلك مثل وعودك السابقة ..

حاول أن يقول شيئاً .. لكنه امتنع عن الكلام ..

ثم ما لبث أن قال لها :

- من فضلك .. أعدى الطفلة للذهاب معي ..

بكت (ميرفت) وهي تودع الطفلة .. التي نظرت
لأبيها قائلة :

- لا أريد أن أذهب معك .. أريد أن أبقى معها ..

مسح (عماد) على شعر ابنته قائلاً :

- لقد قلت لك يا حبيبتي .. إنك ستعودين إليها ..

مسحت الفتاة بدورها العبرات التي اتسابت بغزارة
على وجنتي (ميرفت) قائلة :

- هل سمعت ما قاله بابا يا ماما (ميرفت) ؟ إنني
سأحضر لك سريعاً فلا تبكي ..

احتضنتها (ميرفت) قائلة :

- ستوحشينني .. ستوحشينني كثيراً يا (منى) ..

استكأت الطفلة بين ذراعيها قائلة :

- وأنت أيضاً يا ماما ..

راقب (عماد) هذا المشهد بتأثر بالغ .. لكنه حاول
إخفاء تأثره بالنظر في الاتجاه المضاد ..

وما لبث أن لمسك بيد ابنته الصغيرة .. قلاًلاً (ميرفت) :

- لا أعرف كيف أشكرك على كل ما فعلته من أجل

ابنتي .. إنني سأظل مدينًا لك بالكثير ..

أشارت له بيدها لكي يتوقف عن الكلام .. قائلة :

- إذا أردت أن تشكرني حقاً .. لا تحرمني من رؤية

(منى) بعد أن أحببتها وتعلقت بها .. أنت الذي دفعتني

إلى هذا الحب .. وتلك العاطفة التي نشأت بيننا ..

فلا تسلبني إياها .. بعد أن سلبتني حبك من قبل ..

إبنى لم أعد أريد منك شيئاً سوى أن تتركنى أتولى أمر
تربية هذه الطفلة .. لأننى بحاجة إليها .. قرر احتياجها إلى ..
إن وجودها معى .. قد عوضنى الكثير من الحرمان
والإشباع العاطفى .. لذا أرجوك أن تفى بوعدك وتعيدها
إلى دون أن تخذلنى هذه المرة ..

هز رأسه قائلاً وقد بذل الكثير من الجهد لإخفاء نثره :
- تأكدى أننى سأفعل ..

واصطحب ابنته إلى السيارة الواقعة أمام المنزل ..
لكن (ميرفت) عادت لتناديه بعينين مغرورتين
بالعبرات قائلة :
- (منى) ..

أفلتت الطفلة يدها من يد أبيها وهى تندفع عائدة إليها
لتلقى بنفسها بين أحضان (ميرفت) التى لم تستطع
أن تسيطر على مشاعرها وهى تنسبث بها قائلة
بصوت متهدج :

- إبنى أحبك .. أحبك كثيراً ..

***** ١٨٢ *****

غادر الدكتور (نافع) حجرة ابنته بالمستشفى ،
حيث كان (عماد) واقفاً بانتظاره فى الخارج .. وما لبث
أن سأل بصوت هامس قائلاً :

- هل أحضرت الطفلة معك ؟

أجابه (عماد) قائلاً :

- نعم .. لقد تركتها فى الاستقبال ..

- إذن .. اذهب لتأتى بها ..

سأله (عماد) عن ابنته قائلاً :

- ما هى حالتها الآن ؟

أطرق الرجل برأسه قائلاً بنبرة حزينة :

- حالتها سيئة للغاية ..

ثم استطرد قائلاً وكأنه يحاول أن يطرد هذا الحزن عنه :

- هيا .. اذهب لتحضر لها ابنتها .. فقد لا تتاح لها

الفرصة لرؤيتها مرة أخرى ..

***** ١٨٣ *****

أمسك الجد بيد الطفلة وهو يقترب بها من فراش الأم
التي أحاطت بها الضمادات والأربطة ..

بينما وقف (عماد) فى نهاية الحجرة يتطلع إليها
وقد ارتسمت ملامح الأسى على وجهه ..

همس الدكتور (نافع) لابنته قائلاً :

- (نورا) .. لقد حضرت (منى) كما طلبت .. ها هى
ذى قد جاءت لرؤيتك ..

نظرت إليها بطرف عينيها دون أن تقوى على تحريك
ذراعها .. قائلة بصوت واهن :

- (منى) .. (منى) .. افتربى منى يا حبيبتى ..
لفى ذراعىك الصغيرتين حول رقبتى .. لأننى لا أستطيع
أن أضمك إلى ..

ترددت الابنة فى البداية وقد أثارت هذه الأربطة
والضمادات الملتفة حول أمها رهبتها .. فالتفتت إلى أبيها
وكنها تحاول أن تستمد من وجوده الشجاعة لفعل ذلك ..
فهز لها رأسه لكى تفعل ..

وما إن صعدت الابنة إلى فراش الأم لتحيط عنقها
بذراعيها الصغيرتين البضتين ، حتى اتسابت عبرات
الأم قائلة :

- سامحنى يا بنيتى .. لم أكن أحب أن ترىنى هكذا ..
لكننى أشعر بأننى قد لا أتمكن من رؤيتك مرة أخرى ..
أعرف أننى لم أكن أمًا صالحة .. لكننى أحببتك
دائمًا .. وهذا ما أريد أن تتكلمى منه برغم كل ما حدث ..
كما أريد منك ألا تكرهينى فى المستقبل ..

قبلتها بابتها بخان وعاطفة غريزية قبل أن تتأهب
لمغادرة الحجرة مع أبيها .. وقد استوففته (نورا)
قبل أن يذهب قائلة :

- (عماد) .. أريد منك أنت أيضًا أن تسامحنى ..
ها هو الله (سبحانه وتعالى) قد انتقم لك ولابنتك منى ..
وكل ما أريده الآن هو ألا أرحل عن الدنيا دون أن أعرف
فك قد سامحتنى .. ولك أن تجعل لى صورة
سينة فى المستقبل ..

اقترب منها (عماد) قائلاً :

- لقد سامحتك يا (نورا) .. وابنتك لن تتذكرك
إلا بكل حب وتقدير ..

غادر الحجرة وبصحبه ابنته تاركاً (نورا) وقد
ارتسمت ابتسامة صافية على وجهها برغم العبرات التى
كانت تترقرق فى عينيها ، وهى تقول لأبيها بصوت
هادئ :

- الحمد لله .. الآن أستطيع أن أموت مستريحة ..

عاد (عماد) إلى البلدة ومعه (منى) حيث وقف من بعيد
يرقب (ميرفت) التى كانت جالسة فى شرفة منزلها وهى
تنطلق إلى الأفق الممتد أمامها بعينين شاردتين ..

لقد انقضى أسبوعان منذ أن سافرت (منى) بصحبة
أبيها .. لم تعرف خلالها طعماً للسعادة .. وقد بدا لها
هذان الأسبوعان كما لو كانا عامين ..

***** ١٨٦ *****

لقد تركت (منى) فراغاً كبيراً فى حياتها منذ أن
رحلت .. إنه نفس الشعور الذى خلفه أبوها عندما رحل
عنها من قبل .. وقد تضاعف هذه المرة إحساسها بالوحدة
والحرمان العاطفى .. فأصبحت عازفة عن كل شىء ..
حتى عن الطعام الذى لم تعد تتناوله إلا بالقدر الذى يقيها
على الحياة ..

تأملها (عماد) من مكانه بعينين تتدفقان حباً
وعاطفة .. قائلاً لنفسه :

- مسكينة يا (ميرفت) .. أرجو أن تقدرى وتغفرى
لى فيما بعد ، عندما تعرفين الحقيقة ..

وما لبث أن همس لابنته وهو يسلمها حقيبتها قائلاً :
- هيا يا حبيبتي .. اذهبي الآن لتفاجئى ماما (ميرفت)
بحضورك .. أنا واثق أنها ستفرح كثيراً برويتك ..
سألته ابنته قائلة :

- أئن تأتى معى ؟

***** ١٨٧ *****

قال وهو يخفى عنها تأثره :

- نعم يا حبيبتي .. إننى مضطر للسفر الآن .. فقد تأخرت
ويجب أن أذهب فى الحال .. لكنى سأعود لرؤيتك
فيما بعد ..

هل ستغيب عني طويلاً كما فعلت من قبل ؟

رسم ابتسامة على وجهه وهو يمسح بيده على وجنتها
قائلاً بحنان :

- كلا .. يا حبيبتي .. سوف أراك قريباً جداً ..

ثم قبلها فى جبينها وهو يردد قائلاً :

- والآن .. هيا .. هيا لنذهبي إلى ماما (ميرفت) ..

راقبها وهى تبتعد وقد اكتسى وجهه بملامح الأسى
قائلاً لنفسه :

- وأنت أيضاً مسكينة يا بنيتى .. فقد قرر لك أن تكونى
يتيمة وأنت فى هذه السن الصغيرة دون أب أو أم !

وشاهد (ميرفت) وهى تقفز من مكانها لدى رؤيتها
(منى) وقد فتحت لها ذراعها ، لتضمها إليها بسعادة
وحب وحنان بالغ ، فى حين تشبثت الابنة بها وهى
تبادلها نفس المشاعر الفياضة .. فاستطرد قائلاً :

- لكن ما يخفف من شعورى بالحزن لأجلك .. هو
أننى تركتك بين أيد أمينة لتعيشى فى رعاية الفتاة الوحيدة
التي أحببتها .. والتي أتق أنها ستعوضك عن الأم والأب
الحقيقيين .. وأنها ستمنحك من الحب والحنان بقر ما حرمت
منه وما حرمتنا منه نحن أيضاً فى حياتنا ..

ثم أسرع بمغادرة المكان قبل أن تنتبه (ميرفت)
لوجوده قائلاً :

- وداعاً يا أحب من عرفتتهن فى حياتى ..

انقضت خمسة أشهر أخرى منذ أن أحضر (عماد)
ابنته لتبقى فى رعاية (ميرفت) ، وذات يوم بينما كانت

(ميرفت) واقفة فى فناء منزلها الخلفى تنشر الغسيل ؛
التقت بإحدى جاراتها التى تطل شرفتها على الفناء
مباشرة ، وقد حيتها قائلة :

- صباح الخير يا (ميرفت) ..

ردت عليها (ميرفت) التحية :

- صباح الخير يا (مايسة) ..

هل ما سمعته صحيح ؟

- وما هو الذى سمعته ؟

- لقد علمت أن الدكتور (عماد) قد عاد إلى مصر ..
وأنة فى طريقه إلى البلدة ..

اهتزت (ميرفت) لدى سماعها ذلك قائلة :

- الدكتور (عماد) ؟

- نعم .. لقد التقي به أخى أمس فى القاهرة بعد ساعات
من عودته من أمريكا .. وقد أخبره أنه سيحضر إلى
البلدة .. ويبدو أنه يرغب فى اصطحاب ابنته معه
مرة أخرى إلى أمريكا لكى تستقر معه هناك نهائياً ..

ارتسمت ملامح الاضطراب والفرع على وجه
(ميرفت) لدى سماعها ذلك قائلة :

- كلا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً .. إننى
لن أسمح له بهذا ..

- لماذا ؟ من حقه أن يأخذ ابنته .. دعيه يأخذها ..
لنتفرغى أنت لحياتك المقبلة .. فمن الظلم أن تحرمى
نفسك من الزواج وممارسة حياتك الطبيعية ، من
أجل شخص أخلف وعوده معك .. ومن أجل تربية
ابنته .. لك أن تتركه يواصل نجلحه ، بينما أنت هنا متفرغة
فقط لتربية ابنته ..

صاحت (ميرفت) باتفعال قائلة :

- اسكتى ! اسكتى ! أنت لا تعرفين شيئاً .. ما شأنك
أنت بذلك ؟ ما شأنكم جميعاً بحياتى ما دمت قاتعة بها ؟
واندفعت إلى الداخل تتبعها نظرات جاريتها المستكثرة ..
وهى تهمس قائلة :

- أنت حرة !

أسرعت (ميرفت) لتجمع حاجياتها وحاجيات (منى)
وقد اعترتها حالة من الاضطراب والقلق ..

بينما راقبتها (منى) قائلة :

- ماذا تفعلين يا ماما (ميرفت) ؟

- سنرحل عن هنا ؟

- إلى أين سنذهب ؟

- إلى الإسكندرية ؟

- وماذا لو حضر أبى ولم يجدنا ؟

قالت (ميرفت) وهى تسرع بإعداد الحقيقة :

- بابا لن يحضر الآن .. إتنى أعرف ذلك .. ونحن

لن نغيب طويلاً فى الإسكندرية وسنعود قريباً إلى هنا ..

- وهل الإسكندرية بعيدة ؟

- كلا .. إنها قريبة .. ليست بعيدة مثل أمريكا ..

- إذن .. فلو حضر أبى يمكنه أن يأتى إلينا هناك ..

قالت (ميرفت) لنفسها بعد أن انتهت من تجهيز الحقيقة :

- أتمنى ألا يعرف مكاننا أبداً ..

عاد (عماد) إلى البلدة ليبحث عن (ميرفت)
وابنته .. لكنه وجدها قد غادراها دون أن يعرف أحد
إلى أين ذهبا ؟

وعندما سأل جارتها أخبرته بما دار بينهما من
حديث .. فاتفعل قائلاً :

- من قال إتنى جنت لاصطحب ابنتى معى إلى أمريكا ؟
من الذى روج هذه الإشاعة ؟

قالت له المرأة :

- هذا ما أخبرنى به شقيقى ..

صاح قائلاً بحق :

- إتنى لم أقل شيئاً كهذا لشقيقك .. لقد جئت لأستقر
فى مصر نهائياً .. لكنكما أفسدتما كل شىء .. ليتنى
لم لُتقى بشقيقك هذا .. ترى أين يمكننى العثور عليهما الآن ؟

حاول (عماد) أن يعرف المكان الذى ذهب إليه دون جدوى.. فقرر أن يقضى يومين أو ثلاثة فى البلدة عليهما يعودان إليها فى أثناء وجوده.. قبل أن يحاول البحث عنهما فى مكان آخر..

ولكن بعد انقضاء يومين من إقامته فى البلدة.. حضر صديقه القديم (مصطفى) ليلتقى به.. وقد عاتبه قائلاً:

- أخيراً.. التقينا بعد كل هذه السنين الطويلة أيها الصديق الجاحد..

قال (عماد) معذراً:

- أعزنى يا (مصطفى) لقد باعدت بيننا ظروف الحياة..

- ظروف الحياة تجعلك تنسى صديقك هكذا؟

- إتنى لم أنسك قط..

***** ١٩٤ *****

- حقاً؟ إذن لماذا انقطعت خطاباتك عني؟ ولماذا لم ترد على خطابتى إليك؟ إنك لم تفكر حتى فى المرتين أو الثلاث التى حضرت فيها إلى مصر أن تسأل عني أو تحاول مقابلتى.. طبعاً.. لقد أصبحت الآن الدكتور (عماد).. العالم الجيولوجى الشهير.. ولم نعد نلتقى بصداقتك..

- لا تقل هذا يا (مصطفى).. لقد حالت أشياء كثيرة وقعت فى حياتى دون الوفاء بواجب الصداقة على النحو الأمثل.. لكن حتى فى المرات التى أتيت فيها إلى القاهرة كنت مشغولاً للغاية والوقت أمامى محدود..

- على أية حال.. كان الله فى العون.. لعلك قد تخلصت من هذه الأعباء التى تشغلك الآن..

- لم يعد هناك شئ يشغلى الآن سوى الشعور على ابنتى و(ميرفت).. فقد عدت إلى البلدة من أجلهما لكننى وجدتهما قد غادراها دون أن يتركا أى أثر يدل على مكانهما..

***** ١٩٥ *****

- لعلك قد جئت لاستعادة ابنك ..

- نعم ..

سأله (مصطفى) :

- وماذا تريد من (ميرفت) ؟

أجابه وفي عينيه فيض من الشوق :

- أريد أن أستعيدها أيضا ..

حدجه صديقه بنظرة ثاقبة قائلاً :

- كيف ؟

- لقد آن الأوان لكى نتزوج بعد كل هذه السنين التى

ضاعت منا ..

قال (مصطفى) متهمًا :

- هل ستكرر وعودك السابقة لها والتى لم تحقق

منها شيئًا ؟

***** ١٩٦ *****

قال (عماد) بتصميم :

- إننى لم آت لأقدم وعودًا هذه المرة .. بل جئت

عاقدا العزم على تنفيذها ..

والتفت إلى صديقه الذى رأى فى عينيه نظرة

تشكك قائلاً :

- ألا تصدقنى يا (مصطفى) ؟

.. بودى أن أفعل ذلك .. لكن من كثرة ما قلته

دون أن تفعله من قبل لم أعد قادرًا على التصديق ..

نظر (عماد) إلى صديقه وقد أمسك بذراعيه قائلاً :

- إنك تعرف مكانهما .. أليس كذلك ؟ إننى أشعر

بأنك تعرف مكانهما ..

صمت (مصطفى) برهة قبل أن يتحدث قائلاً :

- بلى .. إلهما فى منزلى بالإسكندرية .. لقد حضرا إلى منذ

يومين .. بعد أن عرفت (ميرفت) بأمر حضورك إلى مصر ..

ورغبتك فى استعادة ابنك والعودة بها إلى أمريكا ..

***** ١٩٧ *****

لقد أصبحت (ميرفت) شديدة التعلق بابنتك الصغيرة ..
وكان ابتعادها عنها لمدة أسبوعين عندما اصطحبتها معك
فى المرة السابقة إلى أمريكا تجربة قاسية بالنسبة لها ..
أشفقت على نفسها من أن تتكرر .. خاصة بعد أن
علمت بأنك تنوى أخذ الطفلة بصفة نهائية ..

كانت منغطة للغاية .. مما حال دون إقناعها بأى شىء
آخر ، عدا الاحتفاظ بالطفلة معها .. لكنى كنت أعرف بالطبع ..
إن هذا تصرف غير سليم .. وإن من حقك أن تطمئن
على ابنتك وأن تصحبها معك لو أردت .. لذا اقنعها
بالبقاء فى منزلى مع الطفلة .. وذهبت للإقامة لدى أحد
أصدقائى ، بعد أن وعدتها بأننى لم أخبر أحداً عن مكانها ،
وتدبير أمر إقامتها فى إحدى الشقق المفروشة فى
الإسكندرية ..

لكن بعد أن أمعنت التفكير .. قررت أن أحضر إلى
البلدة ، وأبحث عنك لإطلاعك على الأمر حتى تطمئن
على ابنتك ، لأن هذا من حقك كأب .. وأعرف منك
ما الذى تنوى فعله ..

ابتسم (عماد) .. ابتسامة ارتياح قائلاً :
- هل أصبحت (ميرفت) مرتبطة بابنتى إلى هذا الحد ؟
- إن ما رأيته يدل على أنها لم تعد تتصور الحياة بدونها ..
قال (عماد) بلهفة :

- إذن .. هيا بنا .. لنذهب لهما على الفور ..
هم (مصطفى) باصطحابه معه .. لكنه استوقفه
فجأة قبل أن يتحركا من مكانهما قائلاً :
- انتظر .. هل تنوى الزواج من (ميرفت) وضمها
هى وابنتك إليك هذه المرة حقاً ؟
ابتسم (عماد) قائلاً :

- لك الحق فى أن ترتاب فى ذلك .. لكن صدقتى هذا
ما أنوى أن أفعله .. وهذا ما جئت من أجله إلى مصر
بالفعل ، بعد أن صفيت كل أعمالى فى (أمريكا) ..
هيا بنا لنذهب إليهما .. ولا نضيع الوقت .. سأشرح
لك كل شىء فى الطريق ..
- هيا بنا ..

فوجئت (ميرفت) برويته أمامها فى الإسكندرية ..

حاولت أن تهرب وهى تتلدى الطفلة باضطراب قللة :

- (منى) .. (منى) .. أين ذهبت (منى) ؟

لكنه أمسك بذراعها ليستوقفها قائلاً :

- إنها فى انتظارنا الآن على شاطئ البحر مع

(مصطفى) ..

قالت له بعينين باكيتين :

- أرجوك لا تأخذها منى هذه المرة .

- إبنى لم آت لأخذها منك هذه المرة .. بل لأضمك

وأضمها إلى ..

سنزوج يا (ميرفت) .. وسنصبح أسرة واحدة ..

لقد آن الأوان لنفعل ذلك ..

***** ٢٠٠ *****

صاحت فى وجهه قائلة :

- كلا .. كفى .. لا أريد مزيداً من الوجود والأماتى ..

لم يعد يهمنى أن نزوج الآن .. لم يعد يراودنى هذا

الحلم .. إن ما يعينى الآن هو ألا تأخذ ابنتى (منى) كما

أخذت حلمى من قبل ..

- صدقينى يا (ميرفت) .. إبنى لن أقدم لك وعوداً

أو أماتى هذه المرة .. لقد جئت لأبقى .. ونعيش معاً

تحت سقف واحد .. زوجاً وزوجة كما حلمنا من قبل ..

قالت له غير مصدقة :

- كما قلت لى آخر مرة ثم تجاهلت كل شىء ..

- لقد كنت صليفاً فيما قلته لك آخر مرة .. لكن بعد

عودتى إلى أمريكا أصبت بمرض خطير .. أخبرنى وهى

الأطباء أن نسبة الشفاء منه ضعيفة للغاية .. وأنى لن

أعيش لفترة طويلة ..

لذا فضلت أن أبعد عنك وعن الطفلة .. وأن أتركها

***** ٢٠١ *****

لك لتتولى رعايتها بدلاً منى ومن أمها دون أن أخبرك
بالأمر .. مفضلاً أن تتهمينى بالغر والخداع على أن تضطرك
عواطفك للتبيلة إلى الإصرار على الارتباط بى برغم مرضى ..
وعمرى القصير ..

كان أهون على أن أكون كاذباً وغادراً فى نظرك
عن أن أرى نظرة إشفاق فى عينيك .. لذا فبعد أن
اصطحبت (منى) معى لرؤية أمها قبل موتها ..
سارعت بإعادتها إليك دون أن أجسر حتى على مقابلتك ،
أو التحدث إليك حتى لا أضعف بشأن هذا القرار الذى
اتخذته .. لكن شاء الله بعد عودتى إلى أمريكا
ومواصلتى للعلاج .. أن أشفى تماماً من هذا المرض ..
ولقد لى الأطباء أن الخطر قد زال .. وأنى أستطيع أن
أواصل حياتى بطريقة طبيعية ..

وما إن عرفت ذلك حتى أنهيت كل أعملى فى (أمريكا)
وهرعت إلى مصر محملاً بكل مشاعر الشوق والحب
والأمل والتفاؤل التى حرمتها منها كثيراً ..

عدت إلى حبنى الوحيد الذى لم أعرف غيره فى حياتى ..
والذى لم يعوضنى عنه أى شىء آخر تحقق فى حياتى ..
عدت إليك وإلى ابنتى التى أحببك كما أحببتك ..
والتى أحببتها كما أحببتنى ..

لقد عاتينا كلنا كثيراً يا (ميرفت) .. وأن الألوان
لكى نستريح .. ولكى ننعم بالحب والحياة اللذين
حرمتنا منهما ..

ألفت بنفسها بين ذراعيه وقد أجهشت بالبكاء قائلة :
- إبنى لا أصدق أن كل ما تمنيناه سيتحقق الآن مرة
واحدة ..

رفع وجهها إليه وهو يمسح دمعها قائلاً :
- لا تبكى يا حبيبتى .. فلم يعد هناك ما نبكى من
أجله غير السنين التى ضاعت من عمرنا دون أن
نسعد بحبنا .. وعلينا أن ننعم الآن بكل دقيقة متبقية
من هذا العمر ..

ومن بعيد وقف (مصطفى) يرقبهما وبصحبه
(منى) التى أطلق يدها من يده قائلاً :

- هيا إذهبي إليهما ..

ركضت الفتاة نحوهما وقد أشرق وجهها البريء
بالفرحة .. وهى تناديهما :

- بابا .. ماما !

وتلقفاها بين أيديهما وهما يضمنانها إليهما بحب

وسعادة ..
www.liilas.com

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



أ. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يسهل القلب
أو القلم حرجاً من وجودها بالمزلة

بعد الانتظار

عانت (ميرفت) الكثير
من الانتظار والحرمان
العاطفي .. وقد حرمت على
نفسها الحب والزواج من شخص
آخر غير الذي أحبه .. وأخلصت له
برغم وعوده الزائفة لها .. ترى هل
يعوضها القدر عن هذا الحب
الذي لم يعرف سوى
الحرمان ؟

91

٢٥٠

الشمع في مصبر

وما يعادل بال دولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم